صور رمزية في شعر حسن كامل الصيرفي

بقلم الدكتور محمد سعد حسن فشوان
مدرس الادب والنقد في كلية اللغة العربية باسيوط

* * *

— ١ —

حسن كامل الصيرفي من الشعراء الكبار الذين رادوا حركة الشعر الزاهرة في رحاب مدرسة ابولو(١) الشعرية في مصر (١٩٣٢ — ١٩٤٦) ، ولا تزال ذكرياته عن هذه المدرسة حية في ضميره ، وإذا كان الزمان قد أمات النشيد على شفاه بعض شعراء ابولو الذين صدحوا على ايكة الشعر في عهدها الزاهر فان الشاعر الصيرفي يؤكد ان اصداء تلك الاناشيد لا تزال تتردد في الاجواء ، تعطرها ، وتحكي قصة الامس القريب :

سكتنا واصداؤنا لم تزل ‏ يرددها النغم المرسل
اذا حرك الفجر اجفانه ‏ مضت بصدانا الدنى تمتل(٢)

وقد نبهني الاستاذ مصطفى السحرتي الاديب الناقد — اطال الله في عمره — الى ضرورة العناية بشعر الصيرفي ، واخراج دراسة مستقلة عنه ، وكان ذلك على صفحات مجلة الثقافة القاهرية(٣) ، كتب ذلك حين اهديته نسخة مخطوطة على الآلة الكاتبة من دراستي : « القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو » ، وقد دفعني هذا الى العودة لشعر الصيرفي من جديد دارسا له ، ومنقبا عنه ، وذات مساء ضمني والشاعر لقاء ادبي طيب في منزله بمصر الجديدة ، امتد لعدة ساعات ، تمكنت من خلاله من ان اتبين كثيرا من معالم شخصيته ، وان اقف على تضاريس نفسه الشاعرة ، وقد تناولنا فيما تناولناه في هذا اللقاء من بين شعره الكثير الجم « الالحان الضائعة »(٤) ، وامتد الحديث الى قصيدته « موت عزرائيل »(٥) و « الشاعر »(٦) اللتين تنعمان بالرمز ، وتشيران الى الجانب الفكري الثر عنده .

والصيرفي في هاتين القصيدتين ، واشباههما يبدأ من حيث ينتهي غيره من الشعراء ، فالاعتماد على الجانب الفكري والفلسفي في الشعر لا يكون — غالبا — الا في شيخوخة الشعراء ، يبدأ الشاعر عاطفيا وجدانيا ، وينتهي مفكرا فيلسوفا ، وقد دفعني ذلك الى ان اختار صورا من شعره الرمزي المبكر ، المشرب بروح الفلسفة والفكر ، لننظر كيف كان هذا الشاعر يفكر في شبابه ، وكيف انطبع فكره على شعره في تلك المرحلة الباكرة .

— ٢ —

في دراسة ذيل بها ديوان الصيرفي : « الالحان الضائعة » يؤكد الدكتور عبد العزيز عتيق ، — وهو من شعراء ابولو ايضا — ان من احسن فكر الصيرفي الشعرية في هذا الديوان فكرة قصيدة « الشاعر » ففيها يمثل لنا كيفية خلق الشاعر ، وكيفية هبوطه على الارض ، واسباب ذلك في عرض شعري جذاب .

فالشاعر يرى في هذه القصيدة انه في فجر الحياة الاول رن في انحاء الوجود صوت كانه الحلم المحبوب يطوف بالجفن ، او كانه المعنى السامي يمر بالذهن ، واذا هذا الصوت يتجلى غناء للسامعين ، ويتمشى رجاء للنائمين ، واذا السامع والنائم كلاهما يهفو الى هذا الصوت في لهف وظما ، ثم اذا هذا الصوت صوت الشاعر يرجع على قيثاره :

انا طيف اتى من الفردوس ‏ انا همس يسمو على كل همس
انا حلم يجول في كل نفس

انا نور جهلتموه زمانا ‏ انا روض جهلتموه مكانا
انا وحي لم تدركوه عيانا

ويتدرج في فكرته فيرى انه خلق من النظرة الاولى بين آدم وحواء ، وان آدم لما بصر بنفسه الى جوار فاتنة جميلة ، حاول النظر اليها كي يعبر لها عن هواه ، فكان حديثه وتعبيره هو الشعر ، ويرى ان مشيئة الله لم تخلق الشاعر عبثا ، ولكنه خلقه ليكون خير هاتف بحسن هذا الكون ، ولقد بات الشاعر مع آدم وحواء في الجنة يؤنسهما بعذاب اغانيه ، كما اطلقته المشيئة في جنة الخلد ينشد للطير والملائك الاشعار ، فتردده عنه سحرا مذابا ، ولكن حواء جرت على آدم الشقاء والهم بحسنها ، وبضروب الغواية التي جعلت آدم ينسى الاله ويعصاه ، ويطيع الحسناء فيما نهاه ، واذا الله يقصيهما عن جنته ... وهنا يتحدث الشاعر عن خروج آدم وحواء من الجنة وتوديعه لهما فيقول :

في صباح الخروج ودعت آدم ‏ وهو يهوي بزوجه نحو عالم
مجدب ، صامت ، عميق الطلاسم

بنشيد بثثت فيه حناني ‏ وغناء البثت فيه جناني
سمع الله في العلا الحاني

ولما هبط العاشقان (آدم وحواء) راحا يستطلعان الحياة ، وما زال بين عينيهما ضياء الله ، وعلى شفتي كل منهما ابتسامة ، ولكنهما تركا الشاعر في الجنة وحيدا ، لا يطمئن الى وحدته ، ولا يرتاح الى جنته ، بل لقد حالت

محاسنها في عينيه ، وامسى ما كان يستخنه ويطربه يستثير شجونه وتبرمه :

بت وحدي اجوب في فردوس فاراها غريبة دون حس
غشيت جنتي كآبة نفسي

فتراها كئابة الاسباد ظللتها سحابة من سواد
مثل حسناء في ثياب حداد

ثم يروح يناجي ربه ، ويسأله في النهاية ان يعيد الى هذه الجنة ماضي انسها ، والا فانه سيهجرها الى حيث يلحق بآدم وحواء على الارض .

ولكن امنية من امنياته لم تتحقق فيروح متبردا على ان يحيا متفردا في جنته الخاوية ، التي لم يعد يراها سوى بادية قاحلة ، ثم يزين له شيطانه الفرار من هذه الحياة ، فيستودع الخالق قيثاره ، ويخرج من الجنة :

اودعتك القيثار يا خالقي وعفت احلامي واطيافيه

وهناك على باب الجنة ، وقبل ان يبرحها الى العالم الارضي ينادي الإله الشاعر آمرا إياه ان يؤدي رسالته الى الناس :

خذ من الجنة قيثارتي وانزل الى الارض بانفاسيه
خفف عن المتعب آلامه واسبل عليه رحمتي الحانيه
انشده في بلواه انشودتي وعزه عن جنتي النائيه

ويهبط الشاعر الى الارض مفتونا بها ، مشوقا اليها ، فماذا هو يرى من امرها عجبا :

عجبت لسكان هذا الوجود ضحايا ولكنهم يعيشون
تبددهم سخريات الحياة وتجمعهم سخريات المنون
تصوغهم من جماد الصخور وشهوتهم من حزام الجنون

— ٣ —

وعلى الرغم من الفكر الفلسفي الذي تصطبغ به القصيدة غير ان كل جزء فيها يرمز الى موضوع خاص ، او حادثة خاصة تنبع من حياة الشاعر ، وتترجم عن احساسه ، وتتصل بحياته وواقعه ، وبحياة الناس وواقعهم — كذلك — إتصال إتحاد والفة ، بل ان الشاعر في تلك القصيدة ليس في ظننا سوى الصيرفي نفسه .

وقد غلف نظراته الفلسفية ولمحاته الفكرية في تلك القصيدة برمزية الصور ، ورمزية اللغة ، ثم بالرمزية الموضوعية ، التي تتعدى الجزء إلى الكل ، والشكل إلى المضمون ، فالشاعر قد اتخذ من نفسه هو — فيما يبدو — موضوعا لتلك القصيدة ، فقصة الشاعر هنا قصته بل وقصة كل من كان على شاكلته من الشعراء ، الذين يألمون من حيث يأملون ، ويحزنون من حيث يفرحون ، ويبكون من حيث يضحكون ، ويهزلون من حيث يجدون ، وكل موقف فيها يرمز الى شيء يناظره في دنيا الشاعر ، بل وفي دنيا رفيقي الاحساس والشعور من الناس أيضا .

— ٤ —

وقصيدة « الرغبات المقيدة » التي يعالج فيها فكرة فلسفية اخرى ، تقوم اساسا على ان كل كائن مهما تسامى فهو اسير القيود والاغلال ، ولو ان كائنا ما حاول الافلات من تلك القيود ما عد عند الناس ، بل وعند نفسه الا مجنونا :

لو كنت نجمة ليل ما طلعت على غفلان ، لكن على حب يراعيني
او كنت اثمار روض ما دنوت الى اكف من ليس يهواني ويرجوني
لكنني انا مخلوق يسيرني دهري ،ودهري في الاغلال يغويني(٧)

وهي قصيدة تنهض على الممازجة بين الفلسفة والرمز ، وعلى نسقها جاءت قصيدته : « اللغز »(٨) التي يرى فيها ان مظاهر الطبيعة كالروض والغصن والافق والواحة والملاح ليست سوى صورة لنفسه ، ولكنها تنكره وتجانبه ، وهنا يبحث عن السر في هذا الامر ، لعل فيه لغزا ، بل لعل هذا اللغز مضمر في نفسه ، فهي لو ضاعت ما انكرتها جداول الروض ، ولا جانبتها بلابل الغصن .. ولعل من اروع ابيات تلك القصيدة ابياته التي يعبر فيها عن حيرته ، ويترجم عن عدم اهتدائه الى رغائبه ، تلك التي ذابت في محيط الحياة الزاخر بالاماني الضائعة ، والاحلام المفقودة :

انا العابر الملاح ابهم ساحله
وقفت على موج الخضم اسائله
عن الساحل المجهول ضاعت دلائله
فثار على الموج قاس تحامله

وحطمت الريح الغشوم سفينتي وهل لهمثال الحرب تجدي سكينتي !؟

— ٥ —

وقد وفر الصيرفي لتجاربه من هذا اللون جوا خياليا شفافا تتجاوب بين جنباته الوان متمازجة من الموسيقى القوية احيانا ، الحالمة احيانا اخرى ، ذلك انه ادرك ما للموسيقى من اثر في اضفاء جو من الغموض ، تسبح فيه الاحلام والرؤى ، وحينذاك ينزع عشاق هذا الضرب من الشعر الى استكناه المجهول من عوالمه الغائمة ، والى ادراك ما يغلفه من ضباب ، وما يكتنفه من اسرار .

وكثيرا ما راينا الصيرفي ينعتق من عالمه المادي الذي يرسف في الاغلال الى عالم جديد ترفرف نفسه في اجوائه الطلقة الفسيحة ، وتسبح في ابهائه الرحبة الوسيعة ، دون اغلال او قيود .

استمع اليه — على سبيل المثال — وقد اثرت في نفسه النظرة الاولى من الحبيبة ، ويا ويح المحب من تلك النظرة ، انها تتركه بقلب يخفق باللهب ، ويشتعل

نداء الحب

صوت ينادي فمن يا قلب ناداانا   ومن اهاج بذكر الحب ذكرانا
لف الظلام لياليا وكفنها   فلا النجوم ولا الاقمار ترعانا
نهفو الى الامس تنشينا صبابته   والامس في يومنا ما زال نشوانا
يفيض من لهب الايام لوعته   وينفث الجمر في الاحشاء بركانا
يا ساقي الطيب بالالحان تمزجه   دعني مدى العمر بالإنغام سكرانا
اتيه في عالم الاوهام مرتقبا   من كوة الغيب انوارا ونيرانا
تضيء ظلمة دهر ناء كاهله   من المقادير اشكالا والوانا
خف النداء وبح الصوت وانهمرت   مني الدموع احاديثا واشجانا
لم يهتف الحب الا انني ثمل   نحرت قلبي له في الامس قربانا
اهذي اردد اصداء كان بها   سحر الخلود طواه السر كتمانا

جنيف ــ سويسره   احمد عبد الجبار

بالحرمان ، ولكن الصيرفي كان يرى في ذلك صميم الحياة ، التي قد لا يدرك كنهها كثير من الناس :

في النظرة الاولى رايت الحياه   تفتح لي بابا الى عالم
تصدق عيني اليوم فيما تراه   تضمن لي الروح التي اشتهي
اهديء القلب الذي يخفق   بهذه الكف التي تضطرب
اخشى عليه والهوى محدق   ان يرتمي في عالم ملتهب
يزيد نارا على ما به   فتنتفي الجذوة طي الحلك
لانه طاع بمحرابه   فلتحترق يا قلب في هيكلك
في النظرة الاولى جمعت البعيد   من عالم الحب والوانه
في النظرة الاولى سمعت النشيد   فرحت مغمورا بالحانه

ويستمر هكذا في عدد من الابيات ، ثم يخاطب روحه في عدة ابيات اخرى طالبا اليها ألا تعبأ بالعالم المادي بكل ما فيه من ثورة وضجيج ، وان ترحل معه الى حيث يلاقي الوحي في ملجأ نفسه الامين ، ويواتيه الالهام ، فيقول :

هاتي من الليل ومن سره   ومن رؤاه المذهبات الجناح
هاتي من الفجر ومن سحره   ومن هتاف الطير يحدو الصباح
ما يملأ القلب الذي ترفعين   به الى النور الذي انشده
لحنه بين طوايا السنين   فجئت لهفان هنا اعبده(٩)

وخلاصة القول ان هذا اللون من الشعر الذي مال اليه الصيرفي في بداية عهده بالقريض لا يجود على قارئه بشيء اذا قرأه للتسلية وتزجية وقت الفراغ ، بل لا بد فيه من اعمال الفكر وشحذ القريحة ، ولا بد من استيعاب تجربته ايضا ، والتحليق في نفس الاجواء التي حلق الشاعر فيها ، وذلك عندي وحده دليل الاصالة والجودة .

القاهرة   محمد سعد حسن فشوان

---

(١) ــ يرى البعض ان ابولو « جماعة » وليست « مدرسة » وقد اثبت عن طريق الدراسة الموضوعية انها مدرسة شعرية في ادبنا الحديث ، كما وضحت ذلك في مقال نشر بالاديب البيروتية من قبل .

(٢) ــ ديوان صدى ونور ودموع ص ١٨١

(٣) ــ العدد ٥١ ديسمبر ١٩٧٧

(٤) الالحان الضائعة اسم ديوان للشاعر .

(٥) ــ الالحان الضائعة ص ٥٤

(٦) ــ نفس الديوان ص ٩٢ ــ ٩٨

(٧) ــ الالحان ص ٩٩

(٨) ــ الالحان ص ١٠٠

(٩) ــ ديوان الشروق ص ١٦

البحيرة للامارتين

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

اهكذا تدفعنا الايام نحو شواطىء جديدة ، ويقذف بنا الليل الابدي بلا أمل الرجوع ، فلا نستطيع ان نلقي مراسينا ولو يوما واحدا عبر محيط الزمن ؟

ايتها البحيرة ! لم تتم السنة دورتها بعد ، وبالقرب من هذه الامواج العزيزة التي كانت — هي — ترجو رؤيتها ، انظري ! ها انذا اعود وحدي لاجلس على هذا الحجر الذي جلست هي عليه !

هكذا كنت تهدرين في ظل هذه الصخور الجبارة . هكذا كانت امواجك تتكسر على جوانبها ، والريح تقذف زبد امواجك فوق رجليها ...

وكان مساء ... هل تذكرين ؟ كنا نعوم ساكتين ، فلم يسمع سوى رنة المجذاف تضرب امواجك الموسيقية ضربا موقعا .

فجاة رن في الجو صوت لم تعرفه الارض ، تردد صداه في الشاطىء المسحور ، والموج أصغى حين نطقت الحبيبة بهذه الكمات :

يا ليل قف ! وانت ايتها الساعات الجميلة ، توقفي عن المسير ! دعينا نتملى من اللذات الهاربة التي تجود بها ايام الهناء . كثيرون هم التعساء الذين يضرعون اليك طالبين الموت ، فاستجيبي نداءهم ، خذي الهموم التي تذيبهم ! ودعي السعداء وشأنهم !

ولكن عبثا اتوسل الى الزمن . فالزمن يواصل مسيره . عبثا استوقف الليل والفجر يقذفه بعيدا .

لنحب اذن ! لنغتنم الساعة الهاربة . فالانسان لا يستطيع الارساء والزمن لا شاطىء لـه . بـل يجري ونجري وراءه !

ايها الزمن الغيور ! احقا ان ساعات الهناء التي يمنحها الحب تتبدد وتغيب كما تغيب ساعات الشقاء ؟
اتزول النشوة ولا تترك وراءها اثرا ؟ اتهوي في لجة العدم ؟ وهذا الزمان الذي جاد بها ، هذا الزمان الذي يبتلعها ، ايعجز عن اعادتها الينا ؟

ايتها الابدية ! يا عدما ! يا ماضيا . يا لججا سوداء ! ماذا تفعلين بالايام التي تلتهمينها ؟ تكلمي ! هلا اعدت الينا تلك اللحظات الالهية التي تغيب في قلبك ؟

ايتها البحيرة ، ايتها الصخور الصماء ، يا كهوفا ويا غابة مظلمة ! انت التي تقاومين الزمن ، انت التي تجددين شبابك ، احفظي على الاقل ذكرى تلك الليلة ، خلدي الذكرى ايتها الطبيعة الام !

لتحي الذكرى في هدوئك وفي صخبك ، ايتها البحيرة . لتحي في روابيك الضاحكة ، في شجراتك القاتمة ، في هذه الصخور الوحشية التي تنحني فوق مياهك .

لتحي الذكرى في النسيم الذي يرتعش فوق مياهك . في الاصداء التي ترددها شواطئك ، في الكوكب الفضي الذي يرصع صفحتك باشعته الصافية .

لتتردد الذكرى في انين الرياح ، في تنهد القصب ، في العطور المائجة في هوائك ، في كل ما نسمعه ونراه ونتنفسه ، لتتردد العبارة : لقد تحابا !

(ترجمة نثرية لروز غريب)

تحليل « البحيرة »

« البحيرة » واحدة من قصائد الذكرى التي اشتهر بها الشعراء الرومنطيقيون . نجد لها مقابلا عند موسيه في « ذكرى » وعند هوغو في « حزن اولمبيو » .

موضوعها ذكرى واقعية بطلتها إمراة فتية تدعى الفير التقاها الشاعر عند بحيرة ليمان(1) حيث جاءت تستشفي من مرض خطير فأحبها وخصها ببعض قصائد « التأملات » ومنها قصيدة « البحيرة » التي نظمها بعد وفاة الفير بسنة وخلد بها ذكرى ليلة بعينها قضاها الحبيبان في قارب حملهما فوق تلك البحيرة الجميلة . لكن الذكرى الفردية التي وصفها الشاعر تتعدى نطاق الذات وتصبح تأملا فلسفيا او ميتافيزيقيا في عبث الوجود وحتمية الموت والفناء . يحاول صاحبه ان يجد في الطبيعة التي ترمز اليها البحيرة عزاء او تعويضا عن مآسي الحياة وقسوة الاقـــدار .

يمهد الشاعر لموضوعه هذا بابيات افتتاحية يشكو فيها تلاعب الزمن بمقدرات البشر وعجز هؤلاء عن ايقافه ولو يوما واحدا .

من هذا التمهيد ينتقل الى مخاطبة البحيرة التي شهدت حبه وحب الفير ، فيعلن ان هذا الحب كان قصير العمر لان حبيبته ماتت ، اما البحيرة فلا تزال كما عهدها

---

(1) — بحيرة ليمان بين سويسرا وفرنسا .

يوم التقى الغير على شاطئها . بذلك يشير لامرتين الى قوة الطبيعة وخلودها وعجز الانسان وبسرعة فنائه .

يواصل خطاب البحيرة معيدا امامها ذكرى ليلة إمضاها مع حبيبته متنزهين في القارب ، وتفت فيها الغير تستعطف الزمن وقد احست بانفلات السعادة من يديها ، طالبة منه ان ياخذ التعساء ويبقي على السعداء ، لكن رجاءها ذهب عبثا .

من خطاب البحيرة ينتقل الشاعر الى فكرة فلسفية تصطبغ بالابيتورية : بما إننا عاجزون عن إيقاف الزمن فلنغنم اللحظة الهاربة . لنستمتع بالحب قبل زواله .

ثم يلتفت الى الزمن سائلا اياه عن ساعات الهناء التي يبتلعها . ماذا يفعل بها ؟ الا يمكنه ان يعيدها ؟

وحين ييأس من عطف الزمن كما يئست منه الغير ، يلتفت الى الطبيعة المتمثلة في البحيرة ، في الصخور الصماء والكهوف والغابة الكثيفة ، في جميع هذه الكائنات الطبيعية إلتي تقاوم الزمن ، فيطلب منها ان تخلد ذكرى حبه في قلبها .

العناصر الرومنطيقية

١ — الفلسفة

في « البحيرة » تنكشف لنا فلسفة الرومنطيقيين الجامعة بين التشاؤم والتفاؤل ، الواقع والخيال ، الذاتية والموضوعية .

الشاعر ناقم على الزمن الذي اختطف حبيبته ، متوجع من سرعة الفناء ، لكنه يجد عزاء في ايمانه بالطبيعة. لا يسعه الا التسليم بواقع الموت وتلاشي الحب لكن ايمانه بالطبيعة ، المرتكز على قوة العاطفة والخيال ، يمسح فجيعة الواقع .

البحيرة ، رمز الطبيعة في هذه القصيدة ، هي المحور الرئيسي الذي تدور عليه من بدايتها حتى نهايتها . فالشاعر يناجيها ، يبادلها حديث الذكرى : «هل تذكرين ؟» يشكو لها اله من قسوة الزمن وفي غمرة يأسه في حضنها املا بان تمنحه عزاء وتخلد حبه العابر .

٢ — الاسلوب

ا — الوحدة العضوية

الاسلوب يبدأ هادئا تأمليا حزينا ، يشعر بموضوع كئيب . ثم يصبح سردا باعثا للذكرى التي تتخللها صرخة الم تطلقها الفتاة . وتتطور العبارة صعودا وتتأزم في مخاطبة الشاعر للزمن مهاجما قسوته ، ثم تنحل الازمة في الخطاب الدافق حماسة وحرارة الذي يوجهه الى الطبيعة .

في هذا الاسلوب نجد شبها باسلوب المسرحية الكلاسيكية التي تبدأ هادئة وتتطور الى ازمة تنتهي بحل مريح . كذلك نلمس شبها بينه وبين القطعة الموسيقية التي تنتقل من هدوء الى ارتفاع وتأزم فانحلال .

ونلاحظ ارتباط الشاعر الرومنطيقي بمبدأ الوحدة العضوية التي بسطها ارسطو في كتاب « الشعر » فمعاني القصيدة تمهد بعضها لبعض وتنبثق بعضها من بعض ، منظر البحيرة يثير الذكرى في ذهن الشاعر ، ذكرى الحبيبة التي قاسمته ساعات الهناء على شواطئها ثم ذكرى ليلة معينة خاطبت فيها حبيبته الدهر طالبة منه الوقوف ومنها ينتقل انتقالا طبيعيا الى لوم الدهر الذي لا يرحم ولا يلين ثم الى الطبيعة التي يأمل عندها العطف الذي يفتقده في الدهر او الزمن .

ب — الانتقال من الخاص الى العام

من ميزات القصيدة الرومنطيقية بناؤها على حادثة ذاتية او تجربة شخصية ينتقل بها الشاعر من الخاص الى العام ، من الجزئي الى الكلي . فتجربة لامرتين هنا تتخذ صفة الشمول لانها لا تبقى تجربة فردية محدودة بالشاعر وحبيبته بل تتسع لمناقشة حتمية الفناء والثورة على الاقدار العاتية والسعي اليائس لتخليد الحب والهناء في قلب الطبيعة .

ان الشاعر لا يتكلم بلسانه وحده بل بلسان كل إنسان تستوقفه اسرار الحياة والموت . يؤلمه عجز الانسان عن مقاومة الاقدار فيلتمس التعويض والعزاء في الطبيعة او في غيرها من الكليات المتميزة بالخلود . ومما تجب ملاحظته ان الطبيعة لا تعني فقط المظاهر الطبيعية كالبحيرة والاشجار والجبال والبحار والمغاور لكن اللفظة تدل على معنى فلسفي يشمل جميع الكائنات والنظام الذي يدبر الكون ويرعى حركته . فالطبيعة رمز الله !

ج — الميزة الخطابية

الاسلوب خطابي : خطاب الذات ، خطاب البحيرة ، خطاب الزمن ثم البحيرة ختاما . تتنوع العبارة بين خبرية سردية وانشائية او حوارية ، يكثر فيها الاستفهام والهتاف ، التفصيل والتعداد وتنم بوسائل التصوير والتنسيق اللفظي عن تأجج العاطفة وثورتها .

د — الصور

الصور تجمع بين المجرد والمحسوس . فيها الصور المجردة الكونية المناسبة لموضوع تأملي : الزمن والابدية والعدم والمحيط والاعمار والوجود . وصور الطبيعة : الصخور والبحيرة ، الكهوف والغابة والنسيم ، التي يخاطبها الشاعر مخاطبته لكائنات صديقة ويمنحها حياة حين يقول : الموج والبحر والافلاك مصغية معنا والروابي الضاحكة ، وكذلك

ازمة

قصرت شعري لا لانـي قاصر — لكـن لان القارئـين قليـل
شلـت تكاليف الحيـاة عقولهم — فلها عـن الفن الإصيل إصيل
وتنازع الخبز الرخيص همومهم — فانهـار صرح للبيـان جليـل
يـا دولة كـان الثريا عرشها — يفديك مـن غير الزمان بخيل
غيري يمر على رسومك ساهيا — وسواي في خطب الجمال دخيل
لبكتك في عليائها شمس الضحى — لـو كان يشفى بالبكاء غليـل

بوانس ايرس — الارجنتين

زكي قنصل

الصخور الوحشية ، انين الرياح ، تنهد القصب ، العطور المائجـة .

ولا يهمل التضاد والتكرار من وجوه البديع حسين يقول : « عبثا انادي الزمن فالزمن يتابع سيره . عبثا أستوقف الليل والفجر يقذفه بعيدا » .

هـ — الايقاع والموسيقى اللفظية

تتألف القصيدة من ادوار رباعية ، السطور الثلاثة الاولى من الرباعية متساوية الطول ، ترتبط بالوزن الاسكندري الفخم المؤلف من اثني عشر مقطعا . والسطر الرابع قصير مؤلف من ستة مقاطع اي نصف الوزن الاسكندري . يشير قصره الى انتهاء الدور واكتمال المعنى . يعطي القارىء مقدارا مـن الراحة عقيب الامتداد والاتساع في السطور الثلاثة التي سبقته . يكسب القصيدة تنويعا ويلفت النظر باختلاف حجمه الى ما فيه من تركيز معنوي ولفظي .

هـذا الايقاع الشبيه بالتوشيح نلتمسه في الاصل الفرنسي ، لا في الترجمة العربية ، شعرية كانت ام نثرية .

تختلف القوافي باختلاف الادوار وتتبدل متناوبة في كل دور . متماثلة في السطرين الاول والثالث والثاني والرابع . متناوحة بـين صوتيات عالية ممتدة في الاول والثالث ، وسواكن منخفضة في الثاني والرابع ، ويتارجح الصوت ، كما في لحن الاغنية ، بين ارتفاع وانخفاض ، بين مد وجزر ، ويساوق حركات العاطفة وتموجاتها .

الى جانب افتنان الشاعر في تنويع القوافي وحجوم الاسطر ، يستخدم من وجوه الايقاع التوازن والتقطيع والتعداد في الاقسام التي تخاطب الزمن والبحيرة . فحيث يشتد التأزم يقوى العنصر الايقاعي وتنسجم الاصوات مع معانيها انسجاما كليا .

ان لامرتين في روعـة موسيقاه الشعرية وافتنانه الايقاعي الشديد الايحاء مهـد للرمزيين الذين استغلوا الموسيقى اللفظية الى إبعد الحدود حتى حاولوا ان يجعلوا من معاني الاصوات وايحاءاتها لغة قائمة بذاتها ، مستغنية عن المعاني الصريحة التي تؤديها الالفاظ . لكن لامرتين رغم تجديده في استعمال القصيدة — الاغنية ، يحرص على صحـة الوزن الكلاسيكي ويقسم السطر إلـى نصفين متساويين فيريح القارىء ويزيد شعره توازنا موسيقيا .

خاتمـــة

قصيدة « البحيرة » ذات شهرة عالمية لانها جامعة لجلال المعاني والصور وموسيقية العبارة التي ميزت شعر لامرتين . وتعد في موضوعها وفلسفتها واسلوبها نموذجا للشعر الرومنطيقي الذي ساد فرنسا في القرن التاسع عشر وكان حلقة إنتقالية بين الكلاسيكي والرمزي . فيه من الاول الوضوح والنفس الخطابي الطويل ومن الثاني ملامح الرمز وقوة التعبير الموسيقي والتصويري والجمع بـين التجربة الذاتية والتفكير الميتافيزيقي الانساني .

روز غريب



القط الاعمى

من الادب الانساني

للدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

*

ما برحت ذاكرتي قصة — تذكرها العين لقط ضرير
قد سارت الاعوام من خلفها — وطيفها الماثل ما ان يسير

شاهدته عن كثب حائرا — يشم ترب الارض كالفاحص
يظن فيها مطعما انما — قد بعد الدر عن الغائص

الانف يا للانف يوحي له — بان في البيت طعاما يفوح
والعين يا للعين تنأى به — عن قصده فهو حزين ينوح

كم يرفع الرأس كمن يشتكي — فان وهى عن حمله اطرقا
له مؤاء شف عن حسرة — كاد بها الاعجم ان ينطقا

مواؤه الضارع مسترسل — تلمس فيه ذلة السائل
يحسبه يعطف بعض الورى — لكنه يمضي بلا طائل

وربما يصمت في غفوة — صمتا يدوي حزنه الواضح
كالجمر يغشاه الثرى برهة — ووقده من حوله لافح

هزاله المر دليل الطوى — ووجهه الجهم دليل الضجر
رعشته تنبىء عن خافق — في صدره لاقى الضنى فانفطر

اعمى الورى يفصح عن نفسه — لكنه الابكم لا يفصح
ماساته فاقت مآسي الورى — وما لها من ناطق يشرح

في صدره الزفرة لم تنطلق … الا تفاريق بمجرى النفس
كهائج البركان لم ينفجر … رسا عليه طوده فانحبس

يشبم ما يرجو فان رامه … لم يلق غير الاسف اللاذع
كالآل يبدو لامعا انما … قد ضاع فيه امل الطامع

يفتح جفنيا يدلهم الدجى … به فما من قبس يسطع
ان بدت الشمس مضت دونه … حسرى طواها ليله الاسفع

قد هان عند الفار واحسرتا … فحوم الفار به لاهيا
راى به ذلا فلم يكترث … وخف في فرحته شاديا

مقلته الخضراء تحت الدجى … تشع بالضوء ولا تبصر
جوهرة زيفها حظها … فما لها من قيمة تذكر

ينصب من خلف الدجى سمعه … كمجهر يبرز ما يختفي
صوت الشداء الحلو يجلى به … لكنه بالصوت لا يكتفي

يظن ما في الارض من جنسه … يشكو الدجى فالليل مستحكم
ظن يريح النفس اذ لا حجا … يرشده ، والرشد قد يؤلم

بحثت عن كاف له مسعد … بظلمة اطبق فيها الشقاء
وكدت استيئس في حيرتي … لولا يقين ثابت في السماء

اسال نفسي ما الذي قد جنى … وما غناء الكون مع بؤسه
يحيا حياة ما استفادت به … ارغد منها النوم في رمسه

لعله اعتاد الدجى فاغتدى … بالفه ذا سلوة وارتضاه
وبت وحدي شاكيا همه … وذو الاسى مستمرىء ما دهاه

لا ، فانكسار الراس في خطوه … ينبىء عن احساسه الناقم
صاحب الاحساس – والهفتا – … من حسه بين لظى جاحم

قد يرتقي القط باحساسه … الى سماء القمة العاليه
وفي طغام الناس من يرتمي … اذ يفقد الحس الى الهاويه

كلية اللغة العربية بالمنصورة … محمد رجب البيومي

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

***

(١)

فن الشعر الملحمي — احمد ابو حاقة ، بيروت ، منشورات دار الشرق الجديد ، سلسلة الفنون الادبية عند العرب — ٧ مطابع دار الغندور ، الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٦٠ — العنوان الداخلي : فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب.

١ — تمهيد « هذه دراسة جديدة في الادب العربي ، تكاد تكون الاولى من نوعها اذا استثنينا ما كتبه سليمان البستاني في مقدمة الالياذة ، وما جاء في بعض الكتب المدرسية من احاديث موجزة حول الشعر الملحمي وحقيقته ومظاهره في ادب العرب ... » .

كان المناسب ان تذكر دراسة احمد حسن الزيات في كتابه « في اصول الادب » ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٥٢ ص ٣٥٠ — ٣٧٣

٢ — ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٧ « الاب فنسانت Abbé Vincent — نظرية الانواع الادبية ... ترجمة حسن عون » « ... فنسنت ... » .

الصحيح : فنسن .

٣ — ص ٤٩ « لا مارتين ... هبوط ملاك La Chute d'un ange » .

الصحيح المعتاد في ترجمتها سقوط ملاك .

٤ — ص ٥٠ «كملحمتي دون كيشوت وبانتا غرويل»

لا يذكر هذان الكتابان — اول ما يذكران — في ميدان الملحمة وانما يذكران حتما في تاريخ الرواية وتطورها ...

٥ — ص ٥١ « وهذا ما جعل الناقد الفرنسي هنري لو فافر Le Fèvre ... يقول ... » .

الصحيح : LEFEBVRE

٦ — ص ٥٧ « شاهنامة الفرس . هذه الملحمة ، نظمها شاعر يدعى ابا القاسم الفردوسي في القرن الرابع للهجرة ... عرف العرب هذا السفر المقدس بعد ان ترجمه الى اللغة العربية « قوام الدين البنداري » في اوائل القرن السابع للهجرة ... » .

أ — كلمة « يدعى » في غير مكانها لان الفردوسي شاعر كبير مشهور يذكر من غير « يدعى » .

ب — للشاهنامة عند الفرس مكانة عالية . وتبقى مسالة ان تكون سفرا مقدسا في غير مكانها . ولا تنس انها تؤرخ وتمجد عهودا مجوسية . والفرس قوم مسلمون ...

ج — لم يترجم البنداري الشاهنامة كلها ، وانما اختصرها ، وكانت ترجمته هذه نثرا — ينظر تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام لها والمقدمة الضافية التي كتبها للتحقيق ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٢

٧ — ص ١٢٣ « العصر العباسي وموقفه من الملحمة ... اما العوامل التي كانت تساعد على ظهور الملحمة في العصر العباسي فهي الآتية :

١ — الصراع بين العرب والشعوبية ... » .

يناقش مثل هذا « العامل » — او يرد — بأن هذا الصراع في جملته وفي اهم مختاراته لم يؤد الى شعر من طبقة عالية . وما كان يذكر من شعره كان اكثره في جانب الشعوبية . هذا الى ان اكابر شعراء العصر ابان اشتداد الشعوبية كانوا فرسا — بوجه وآخر .

٨ — ص ١٥٧ « الملحمة بين الشعر والنثر : جاء في كتاب الشعر لارسطو ما مفاده ، ان الملحمة يمكن ان تكون شعرا كما يمكن ان تكون نثرا » .

لقد كتب لي ان اقرأ كتاب الشعر لارسطو اكثر من مرة فما اذكر ان مر بي مثل مفاد هذا القول . والملحمة لديه شعر ، ولم ترد على غير هذا ...

٩ — ص ١٥٧ — ١٥٨ ... « من اراد ان ينتش عن التراث الملحمي عند العرب ، فلن يجده مكتملا في شعرهم ولكنه سيجده في النثر ، وفي نوع معين فقط من الانواع النثرية ، هو القصص الشعبي البطولي ... » .

هنا ، مناسب جدا النص على اسم احمد حسن الزيات والاحالة على ما تحدث به في كتابه « في اصول الادب ... » .

(٢)

دمية القصر وعصرة اهل العصر لعلي بن الحسن ... الباخوزي « المتوفي » سنة ٤٦٧ هـ « ذيل » به على « يتيمة الدهر » للثعالبي . كتاب مهم في بابه . طبع سنة ١٩٣٠ بالمطبعة العلمية بحلب ، « تحقيق » محمد راغب الطباخ — ولم تكن النسخة كاملة ولم يكن التحقيق علميا .

وظلت الحاجة قائمة إلى إعادة الطبع والتحقيق ، واشتدت كلما تقدمت الدراسة في تاريخ الادب العربي ... ولكنه بقي منسيا ... ثم اكتشفه المحققون و « ازدحموا » عليه وتنافسوا ... وبلغت تحقيقاته الجديدة — في علمنا — ثلاثة هي :

١ — تحقيق الاستاذ محمد عبد الفتاح الحلو ، صدر منه الجزء الاول ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، سنة ١٩٦٨ . والجزء الثاني ١٩٧١ — والمحقق مصري .

٢ — تحقيق الدكتور سامي مكي العاني (حصل به على الدكتوراه من جامعة القاهرة) ، صدر منه الجزء

الاول ، بغداد ، المعارف ١٣٩١/١٩٧١ . والجزء الثاني ، النجف، مطبعة النعمان ١٩٧١/١٣٩١ ــ والمحقق عراقي ــ التاريخ نظريا واحد وعمليا متباعد .

٣ ــ تحقيق الدكتور محمد التونجي ، صدر منه الجزء الاول بتوزيع دار الفكر . تاريخ المقدمة ١٩٧١/١٣٩١ وفيها : « سجلتها موضوعا لنيل الدكتوراه في الادب العربي عام ١٩٦٦ باشراف سعيد البستاني » في جامعة القديس يوسف ببيروت .

المهم في الملاحظة ان هذه التحقيقات الثلاثة بقيت ناقصة ، لم يطبع اي منها كاملا .

(٣)

هكذا كتبوا ــ تراجم ودراسات لنخبة من اعلام الادب العالمي بقلم فؤاد دواره ــ القاهرة ، الدار المصرية ، يونيو ١٩٦٦

١ ــ ص ٧٩ (**مارك توين**) : « دائما تنبع الفكاهة الصادقة من الم كبير » .

الاسلوب العربي : تنبع الفكاهة الصادقة دائما من الم كبير .

٢ ــ ص ٢٤٥ (ارنولد وسكر) : « في قمة نجاحه المادي والادبي ككاتب مسرحي لم يعرف « وسكر » الهدوء النفسي ... » .

الاسلوب العربي : لم يعرف « وسكر » الهدوء النفسي في قمة نجاحه المادي والادبي .

وصحيح ككاتب مسرحي : كاتبا مسرحيا .

٣ ــ ص ٢٥٧ (**موليير**) :

أ ــ ص ٢٥٧ « دوق اورليانز » ، وتنظر ص ٢٦١

الصحيح : « اورليان Orléans » ولا تلفظ الـ s بالفرنسية .

ب ــ ص ٢٥٨ « ومــا ان وافت الساعة على الرابعة ... » ــ بفتح الهمزة .

الصحيح : وما ان ... ــ بكسر الهمزة .

ج ــ ص ٢٦٠ « قدم لنا (موليير) ما يزيد عن اربعين مسرحية في مقدمتها ... « الازواج الخائنون » .

لا إعلم لموليير مسرحية تحمل هذا العنوان .

د ــ ص ٢٦٠ « ولد موليير في يناير عام ١٦٢٢ في منزل صغير ... كان ابوه يشغل الطابق السفلي منه بحانوت للتنجيد » .

١ ــ التنجيد . كلمة مصرية . كان الصحيح ان نقول : للندافة .

٢ ــ هذا الى ان اباه لم يكن ندافا ، وانما كان تاجر سجاد .

هـ ــ ص ٢٦١ « سمح له باستلام نصيبه في تركة والدته » .

صحيح : استلام : تسلم .

٤ ــ ص ٢٦٥ (**فلوبير**) .

ص ٢٦٩ « والنساء الاخريات اللاتي اشار اليهن ، فاهمهن اثنتان » .

الصحيح : اما ان نبدا الجملة بـ اما النساء ، واما ان تحذف الفاء .

ــ ص ٢٦٧ « نضوج » .

مصدر نضج : نضجا بضم النون ، ونضجا بفتحها . والنضج ــ بضم النون : الاسم .

ــ ص ٢٧٢ « طوال هذه المدة ظل « فلوبير » يقيم مع امه وابنة شقيقته في منزل الاسرة « بكرواسيه » .

الجملة العربية : ظل فلوبير طوال هذه المدة ... بكرواسه .

ــ ص ٢٧٤ « ونشر ــ فلوبير ــ ثلاث زوايات قصيرة في مجلد واحد . اودعها « القلب الساذج ... » .

هي ثلاث قصص قصيرة وليست ثلاث روايات قصيرة . وعنوانها : Trois Contes ــ وهي مترجمة الى العربية .

٥ ــ ص ٢٧٧ (كوليت) : « في كل ما كتبته من قصص ومسرحيات » .

لا تعد كوليت في كتاب المسرحيات ، ولم تكتب ــ في علمي ــ مسرحيات .

حتى ان الفرنسيين عندما ارادوا تمجيدها حولوا احدى قصصها (جيجي) الى مسرحية .

ــ ص ٢٨٢ « فهي المراة الوحيدة في تاريخ فرنسا كله التي حصلت على النيشان الاكبر من وسام جوقة الشرف » .

نيشان ليست عربية ولا تليق بكتاب محترم .

(٤)

امين الريحاني ــ ملوك العرب ، جزءان ، بيروت ، دار الريحاني ، ط ٥ ، سنة ١٩٦٧ . اشرف على تصحيحها وتنقيحها وطبعها البرت الريحاني شقيق المؤلف .

١ ــ لم تذكر ــ شان المألوف من طبعاتنا المعادة ــ تواريخ الطبعات السابقة (الاربع) . تاريخ مقدمة الطبعة الاولى ، الفريكة ، لبنان ٢٧ ايار ١٩٢٤/٢٣ شوال ١٣٤٣

٢ ــ من المقدمة : « في هذا الكتاب طائفة من الآراء التي تهم العرب خصوصا والاسلام عموما ، والتي تهم الاوربيين عموما والانكليز خصوصا ... » ــ تاريخ المقدمة ٢٧ ايار ١٩٢٤/٢٣ شوال ١٣٤٣

ويذكر المؤلف في سبب تطوافه ــ وكان مقيما في امريكا ــ حبه العرب والبلاد العربية وضيقه بالغرب .

٣ ــ يتكامل هذا الكتاب مع كتب اخرى للمؤلف في مقدمتها : **« نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز ... مؤسسة دار الريحاني ط ٤ ، سنة ١٩٧٠** (كانت ط ١ سنة ١٩٢٨) .

وكان عبد العزيز نفسه من مصادره ، ومنها كما في قوله وهو في الحجاز : « التقيت هناك ببعض الاوربيين المستشرقين المتنكرين . . . فعرفت ان السويسري بركهارت كان مقربا من محمد علي ، والاسباني « باديا إي ابلخ » كان جاسوسا لنبوليون الاول . . . » .

ومما جاء ص ١٠ « المراجع والاسانيد . . . كان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي ارسل الي كتابين طبعا في الهند لاثنين من ادباء نجد ومؤرخيه الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الحنبلي ، والثاني علو المجد في تاريخ نجد لعثمان بن عبدالله بن بشر . . . » .

والصحيح : عنوان المجد .

وقد تكرر الخطأ ص ٤٨٣ فجاء في « فهرس المراجع والاسانيد . . . ابن بشر — علو المجد في تاريخ نجد » — وصحيحه كما ذكرنا : عنوان المجد — وقد اعيد طبع الكتابين .

ومن متممات كتاب الريحاني عن ملوك العرب . . . كتابه « قلب العراق » وكتابه عن فيصل ملك العراق . . . ولا بدَّ من مقابلتهما بما احدث وجود الريحاني في العراق ، ايجابا بالحفلات والتكريم وسلبا بمقالة محمد مهدي الجواهري . ولروفائيل بطي كتاب خاص بالريحاني في العراق .

(٥)

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (٧٠١ — ٧٧٤) ، تاليف احمد محمد شاكر ، ط ٢ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٣٧٠/١٩٥١

١ — ص ٢٨ « يوجد في معجمي الطبراني الكبير والصغير . . . والمسانيد والمعاجم » .

يجمع استاذنا الدكتور مصطفى جواد : المعجم : معجمات او معاجيم .

٢ — ص ٦٩ « الجهابذة النقاد منهم » ، ص ١٨٠ « من الائمة النقاد والجهابذة الحفاظ » .

يدل ذلك على شدة ارتباط النقد بالجهبذة (وهي الصيرفة) .

٣ — ص ١٧١ « كلما كان السن عاليا كان الناس ارغب في السماع عليه » .

السن مؤنثة . واستعمالها — هنا — مذكرة ينفع من يبحث انتقالها الى التذكير .

٤ — ص ١٧٢ « اذا مر بصحابي ترضى عنه » .

يفيدنا الاستعمال للدلالة على قوله : قال رضي الله عنه .

٥ — ص ١٧٣ « ابن حجر العسقلاني » — بكسر العين .

الصحيح : العسقلاني — بالفتح .

٦ — ص ١٧٧ « لا يطول على الشيخ في السماع . . . ولا يستنكف . . . » .

يطول بتشديد الواو . . . وتفيد الجملة من يبحث في تاريخ المفردات .

٧ — ص ١٨٨ « كتاب ابي عبيد القاسم بن سلام ، وقد استدرك عليه ابن قتيبة اشياء ، وتعقبهما الخطابي فاورد زيادات » .

تعقبها اي عقب عليها . . . والاستعمال ينفع من يبحث في تاريخ المفردات .

٨ — ص ١٩٥ « وكان اذا تغرب عليه احد برواية . . . » .

اي اذا ذكر « احد » رواية غريبة عليه . . . والاستعمال ينفع . . .

٩ — ص ٢٨٧ « تمت فهرس الكتاب » — قالها الشارح .

و « الفهرس بالكسر الكتاب الذي تجمع فيه الكتب معرب » كذا في القاموس . ولا ندري لم استعمله الشارح مؤنثا . هذا ولم ترد كلمة « فهرس » في معرب الجواليقي . نذكر هذا على سبيل الفائدة فقط .

(٦)

مصادر التراث العربي (في اللغة والمعاجم والادب والتراجم) — الدكتور عمر الدقاق ، ط ٣ ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ١٩٧٢ — ط ١ ، سنة ١٩٧١

١ — هـ ١٢ « يحيى بن معمر . . . » .

الصحيح : يحيى بن يعمر — والميم مفتوحة .

٢ — ص ٣٠ « يقول ابن الاعرابي : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده ، فلا يصلح ابدا . فقيل له فكيف ذلك ، ايخطىء في روايته او يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فان اهل العلم يردون من اخطا الى الصواب . ولكنه رجل عالم بلغات العرب / واشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ؛ فلا يزال يقول الشعر يشبه (بتشديد الباء) به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار

القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، واين ذلك ؟ » ــ إنظر معجم الادباء ١٩ : ١٦٤ ــ ١٦٥ .

أ ــ فكيف : وكيف .

ب ــ خير من اخذ الرواية عن كتاب متاخر كمعجم الادباء ، اخذها من كتاب متقدم مهم هو « الاغاني » .

٣ ــ ص ٢٣ « ابو جعفر الرؤاسي » .

قد يكون مناسبا ضم الراء وتشديدها . ومن الفوائد ما جاء في لسان العرب « وبنو رؤاس قبيلة ... منهم ابو جعفر الرؤاسي ... » .

٤ ــ ص ٤٩ « جمهرة اشعار العرب . تنسب هذه المختارات الشعرية الى ابي زيد القرشي ، محمد بن الخطاب . وهو شخصية غير معروفة لدينا ... ويجنح بعض الباحثين الى انه توفي نحو سنة ١٧٠ والمرجح ان ابا زيد عاش بعد ذلك وانه من رجال القرن الثالث ... » .

لقد درس الدكتور مصطفى جواد « مؤلف جمهرة اشعار العرب » وانتهى الى « انه من اجل القرن الخامس للهجرة » البحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السابع ١٣٧٩/١٩٦٠

٥ ــ ص ٩٣ « طبع البيان والتبيين عدة مرات في مصر افضلها ما اصدره عبد السلام هارون في اربعة مجلدات محققة ومذيلة بفهارس قيمة » ــ « صدرت الطبعة الاخيرة لهذا المحقق خلال ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ » .

هذا التاريخ (١٩٤٨ ــ ١٩٥٠) تاريخ الطبعة الاولى لتحقيق عبد السلام محمد هارون .

٦ ــ ص ١١٨ « ... الاغاني ... طبعة دار الكتب المصرية وهي اجود الطبعات غير انه لم يصدر منها سوى ١٦ جزءا » .

اصدرت دار الكتب (١٦) جزءا ، كان آخرها بتاريخ ١٩٦١ ثم استأنفت الاصدار فاخرجت الجزء (١٧) سنة ١٩٧٠ ... (ومضت حتى انتهت منه بـ ٢٤ جزءا) .

٧ ــ ص ٢٠٩ « وصدر تاج العروس تباعا عن دولة الكويت ... » .

لم يصدر تاج العروس تباعا عن دولة الكويت ؛ وانما صدرت اجزاء اولى منه ... ربما كان الجزء السادس عشر احدث ما صدر منها ... ثم الثامن عشر ، وينتظر ان يقع في حوالي ٤٠ مجلدا .

٨ ــ ص ٢٢٢ « المنجد ... الحق به معجم للاداب والعلوم ... » « ممن نقدوه الاستاذ عبدالله كنون ... ومنير العمادي وعبد الستار فراج وسعيد الافغاني » .

يا حبذا لو ذكر لنا المؤلف في حاشية متواضعة الاماكن التي نشرت فيها هذه النقود . وسنلم في حلقة قابلة بنقد الاستاذ كنون .

٩ ــ ص ٢٣٦ « طبقات الشعراء . يعرف تارة ... باسم طبقات فحول الشعراء ... ومؤلفه محمد بن سلام ... استاذ ... احمد بن حنبل الفقيه » .

لم يعرف باسم طبقات فحول الشعراء الا مرة واحدة في التحقيق الذي عمله الشيخ محمود شاكر وهو اجتهاد شخصي لم يقره عليه احد .

ولم يكن ابن سلام استاذا لاحمد بن حنبل .

١٠ ــ ص ٣٠٥ « محمد بن سلام الجمحي ولد بالبصرة وعاش في بغداد » .

يفهم من هذا ان ليس للبصرة من ابن سلام الا الولادة ، وشيء بعدها . وليس هذا صحيحا ، لان ابن سلام بصري ، ولم يعش في بغداد الا عشر سنوات من آخر عمره المديد .

١١ ــ ص ٣٠٧ « العكبري ... له « شرح ديوان المتنبي » .

نسبة شرح ديوان المتنبي المعروف الي العكبري ، نسبة غير مفروغ منها ، وقد بحثها الدكتور مصطفى جواد واثبت ان الشرح ليس للعكبري وانما لابن عدلان ــ ينظر في التراث العربي ج ٢ ، ص ٢٣٩ ــ ٢٦٦

١٢ ــ ص ٣٠٧ « الفيروز آبادي ... » .

هذا هو الشائع ولكن ياقوت يقول فيروز اباذ بالكسر ... ثم الف وباء موحدة آخره ذال معجمة وكذا ورد في طرة النسخة المطبوعة من القاموس .

١٣ ــ ص ٣١٠ « ابن النديم ... ــ ٤٣٨ هـ » وكان المؤلف قال ص ٢٧٣ « عاش ... في اواخر القرن الرابع وبعض القرن الخامس » .

ولا يدل البحث على صحة هذا التاريخ ، فهو لم يدخل القرن الخامس ، والمشهور المقبول في تاريخ وفاته هو عام ٣٨٥ ، اما الزيادة الزائدة فلا يسندها دليل وقد نبه المؤلف الى اسباب الوهم فيها (ص ٢٧٦) .

ــ ص ٢٩٠ « صنف صلاح الدين الصفدي ... كتابا يعد ايضا بمثابة ملحق آخر لكتاب ابن خلكان . وقد اسماه « الوافي بالوفيات » . » .

ليس كتاب الصفدي ملحقا وانما هو كتاب ضخم مستقل بنفسه ...

(٧)

المزهر في علوم اللغة العربية وانواعها — للعلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي . شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد احمد جاد المولى بك ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم . الجزء الاول ، ط ٢ ، دار احياء الكتب العربية . طبع بمطبعة عيسى البابي الخلبي وشركاه بمصر .

١ — جاء في المقدمة ص ب « ... وهذا الكتاب قد طبع ثلاث مرات : اولها بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٨٢ هـ ، وثانيها بمطبعة السعادة ، والاخيرة بمطبعة صبيح بالقاهرة .

الصحيح : اولاها ... وثانيتها..

٢ — وجاء : « ولما عزمنا على طبع هذا الكتاب رجعنا الى الثلاث طبعات ، فوجدناها جميعا صورة واحدة ، لا تختلف واحدة عن الاخرى ، ورايناها كلها قد ملئت تحريفا وتصحيفا ... » .

ويضع المحققون حاشية على الطبعة الاميرية ويقولون : « رجعنا الى دار الكتب نرجو اطلاعنا على نسخ الكتاب المخطوطة فاجابنا الثقات فيها ان المطبوعة الاميرية لا تختلف في حرف واحد عن النسخ المخطوطة من الكتاب ... » .

وهذا كلام لا يقوله انسان يحترم نفسه ويحترم قراءه ويخضع لمجتمع متحضر . والا فكيف يحجم محققون ثلاثة عن الرجوع الى مخطوطات كتاب يدعون تحقيقه والمخطوطات قريبة منهم في متناول ايديهم ... وما قيمة كلام هؤلاء « الثقات » ؟ وكيف امتلأت المطبوعات الثلاث التي ازاءهم « تحريفا وتصحيفا » ، اما كان هذا « التحريف والتصحيف » داعيا ملحا في ضرورة الرجوع الى المخطوطات ... وهي — بعد ذلك — مخطوطات وليست مخطوطة واحدة .

ترى ماذا قال المستشرقون حين قراوا المقدمة ؟ ! وحين قراوها معادة في الطبعة الرابعة ١٣٧٨/١٩٥٨ وقد كتب عليها « مزيدة ومنقحة » وفي طبعات تتوالى .

٣ — ص ٧٥ ، ٧٩ « وفي طبقات النحويين لابي بكر الزبيدي » — بفتح الزاي .

الصحيح : الزبيدي — بضم الزاي .

(٨)

تاريخ الادب العربي في العراق — تاليف المحامي عباس العزاوي . بغداد . مطبوعات المجمع العلمي العراقي . الجزء الاول ١٣٨٠/١٩٦٠ (سنة ٦٥٦ — ٩٤١ هـ / ١٢٥٨ — ١٥٣٤ م) .

١ — ص ٧ — قال ابن الطقطقي .
الصحيح : ابن الطقطقى .

٢ — ص ١٧ — الزوزني (بفتح الزاي الاولى) .
الصحيح : بضم اوله وقد يفتح .

٣ — ص ١٨ — معاجم : الذي عرفناه عن استاذنا الدكتور مصطفى جواد ان معجم لا تجمع على معاجم وانما على معجمات ومعاجيم .

٤ — ص ٢٤ « وما جاء في فوات الوفيات من انه توفي سنة ٦٥٥ هـ فغير صحيح » .
الصحيح : واما ما جاء ...

٥ — ص ٣٢ « ودرة الخواص لابي محمد قاسم بن على الحريري المتوفي سنة ٥١٦ هـ » .
الصحيح : لابي محمد القاسم بن علي ...

٧ — ص ٧٣ « وفي هذه الايام توجهت الاشتغالات في اللغة ... » : لا موجب لهذه « الاشتغالات » جمعا ، وخير منها ان نقول : ... توجه الاشتغال ...

٨ — ص ٩٧ « الخليل بن احمد المتوفي سنة ١٨٠ هـ » وتنظر كذلك ص ١٣١

يصعب القطع بهذا التاريخ ، يقول ابن خلكان : « ... توفي سنة سبعين وقيل خمس وسبعين ومائة ... » ويفضل الدكتور مهدي المخزومي — وهو مختص — عام ١٧٥ !

٩ — ص ٩٩ « الاساس : للزمخشري ... » : اساس البلاغة ...

١٠ — ص ١٥٢ « سيبويه ... ولد سنة ١٤٨ هـ ... وتوفي سنة ١٨٠ هـ ... بالاهواز » ومرجعه الاعلام للزركلي ج ٥ ، ص ٢٥٢

جاء في الاعلام « ... عاد الى الاهواز فتوفي بها ، وقيل : وفاته وقبره بشيراز » .

والمسالة اعقد من هذا كثيرا والاختلاف بمكان الوفاة وزمانها كثير فقد ذكر ابن خلكان : البيضاء ، البصرة ، ساوة ، شيراز ، وذكر ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٦١ ، ١٨٨ ، ١٩٤

١١ — ص ٢٠٩ « نقد الشعر في البديع لابي جعفر بن قدامة البغدادي الكاتب ، المتوفي سنة ٣٢٠ هـ » .

الصحيح : نقد الشعر لابي الفرج قدامة بن جعفر . ولا حقيقة لذكر « البديع » في العنوان ... اما الوفاة فالمناسب الذي يذكر لها هو عام ٣٣٧ — اذا كان لا بد

من نص على عام بعينه — والمسالة شائكة .

١٢ — ص ٢٤٣ « ومهما تظافرت الاقلام . وتناصرت الجهود ... » .

الصحيح : تضافرت ...

١٣ — ورد على الصفحة ٢٨٨ موضوع : القصص والمقامات . تفرع منه موضوع : خيال الظل : هو ... موضوع تسلية ، مقرون بالهزل ... وممن كتب فيه عندنا في عهد المغول بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي وله (طيف الخيال) وابن دانيال الموصلي وله (خيال الظل) ...» ثم ذكر « طيف الخيال للشريف المرتضى المتوفي سنة ٤٣٦ هـ ... كتاب (طيف الخيال) في شعر ابي تمام وشعراء آخرين الا أن المؤلف توسع في هذه ونقل عن اخيه ما قال من الشعر ... » .

ا — لا صلة لكتاب الشريف المرتضى (طيف الخيال) بالقصص والمقامات ... وخيال الظل لفظا او معنى .

ب — لان طيف الخيال المقصود هو الطيف من حلم او حلم يقظة مما يمر بالشاعر من صورة حبيبة او لقائه بها ... وحديثه معها ...

ج — لم يتوسع المؤلف عفوا ، وانما كان ذلك في صلب قصده ومنهجه ومن هذا القصد او المنهج ان يذكر ما قاله هو في الطيف .

وفي الجزء الثاني (ط ١٣٨٢/١٩٦٢) يتناول (٩٤١ — ١٣٣٥ هـ / ١٥٣٤ — ١٩١٧) :

١ — جرجي زيدان ، ص ٧١ « وله مؤلفات كثيرة . واللغوية منها ... ، تاريخ آداب اللغة العربية ... طبع سنة ١٩١١ م بمطبعة الهلال واعيد طبعه ثانية ، وطبعته الثالثة سنة ١٩٣٦ م . وهناك طبعة بتحقيق الدكتور شوقي ضيف خالية من التاريخ » .

ا — اذا كان قد ورد في الكتاب تعريف باللغويين وذكر لآثارهم ، فان ذلك لا يعني ان «تاريخ آداب اللغة العربية» من المؤلفات اللغوية على وجه الدقة . واخشى ان يكون العزاوي قد تاثر بكلمة « اللغة العربية » الواردة في العنوان .

ب — طبعة الدكتور شوقي ضيف . دار الهلال ١٩٥٧

ج — لم تكن الطبعة التي صدرت بتحقيق الدكتور شوقي ضيف خالية من التاريخ وانك لتنظر في غلاف الجزء الاول فتقرأ ١٩٥٧

٢ — ص ٣٠٠ « محمد رضا ابن الشيخ احمد النحوي تلقن الشعر من والده ... واشتهر بـ (ابن الشيخ احمد النحوي) للتفريق بينه وبين الحاج محمد رضا الازري ... »

ا — تلقن الشعر من والده : تلقى ؛ او لقنه والده الشعر ...

ب — بمسالة التفريق حاجة الى سند والا فليس هناك حاجة ماسة للتفريق بين محمد رضا النحوي ومحمد رضا الازري ...

(٩)

د. الطاهر احمد مكي — القصة القصيرة ، دراسة ومختارات ، القاهرة ، دار المعارف ، ابريل ١٩٧٧

١ — ص ٢٨ « ... كتاب كليلة ودمنة وترجمه ابن المقفع من اللغة البهلوية الى الفارسية ... » .

اصل الكتاب هندي (باللغة السنسكريتية نقل الى البهلوية) (الفهلوية) .

ونقله ابن المقفع (ترجمه) الى العربية ...

٢ — ص ٢٨ : « وجاء الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٩٤٦م) ، وكان مزدكيا ثم إعتنق الاسلام ... ».

لم يكن الصولي مزدكيا ثم إعتنق الإسلام ... وإنما كان مسلما لأب مسلم وجد مسلم ... واسمه الكامل : محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد بن صول تكين — وصول هو الذي — كما تقول الرواية — كان مجوسيا واسلم على يد يزيد بن المهلب بن ابي صفرة حين فتح جرجان ... — ينظر ، مثلا ، وفيات الاعيان لابن خلكان ... في ترجمة محمد بن يحيى ، وترجمة ابراهيم بن العباس الصولي .

وذكر المؤلف انه جاء بعد الصولي « تلميذه التنوخي ابو علي محسن (ت ٩٩٤ م) ... » .

والتعليق على هذا انه « المحسن » بفتح الحاء وتشديد السين . وفي التلمذة نظر ونقاش .

٣ — ص ٣٥ « جاءت مقامات البديع الهمذاني (ت ١٠٠٨ م) في احدى وخمسين مقامة ... ووضع الحريري (ت ١١٢٢ م) خمسين مقامة ... كانت المقامة تجديدا في القرن العاشر الميلادي ... وكان إنتشارها عبر بقية العالم العربي سريعا ، فبلغت الاندلس اقصى حدوده في الغرب شمالا عام ١١٠٨ ، اي في نفس العام الذي توفي فيه الهمذاني ... » .

الصحيح : اعتمادا على الارقام التي ذكرها المؤلف نفسه — انها بلغت الاندلس بعد قرن كامل من وفاة الهمذاني .

وبهذه المناسبة نسائل : لم الاقتصار في المواد العربية — الاسلامية على التاريخ الميلادي ؟ اما كان من المناسب ذكر التاريخ الهجري ؟ !

٤ — ص ٤١ « الحركة الانسية humanismes » .

الصحيح : بحذف الـ s الاخير .

٥ — ص ٤٤ « وسقطت القصة كجنس ادبي في القرن الثامن عشر الميلادي ... وربما كان الكاتب الفرنسي الذائع الصيت لا فونتين ، اشهر من نمى هذا الجنس فيه ، ولكنه كان كاتب خرافات اكثر منه قصاصا . وهناك من عالج هذا اللون من كبار الادباء ، مثل فولتير ومدام دي ستال ؛ دون ان يكونوا قصاصا او موهوبين في كتابتها ، انما فعلوا ذلك ليدللوا على قدراتهم الادبية ، على نحو ما فعل الدكتور محمد حسين هيكل ، في مطلع هذا القرن ، حين كتب رواية زينب ، فلم يكن مدفوعا بانفعال حقيقي ، او مستجيبا لفيض داخلي ؛ وإنما كتبها لان مثل هذا اللون من الادب ، فيما يرى ، يجب ان يكتب في العربية ، دون ان يعني ذلك انه روائي او قصاص » .

ا — لم يكن لا فونتين من ادباء القرن الثامن عشر وانما هو من اعلام القرن السابع عشر (١٦٢١ — ١٦٩٥).

ب — كتبت مدام دي ستال روايات (روايتين) ، ولا تذكر لدى استعراض تاريخ « القصة القصيرة » .

ج — ليست « زينب » قصة قصيرة لتذكر هنا ... ولا موجب — هنا — للكلام الذي ورد على « محمد حسين هيكل » . وهو — في غير هذا المكان — مجال درس ونقاش .

٦ — ص ٤٧ « لقد تميز القرن التاسع عشر في الادبين الاوروبي والامريكي بأنه عصر القصة ... طبعها بسمات خصبة ومتنوعة ، وعرفت المذاهب الادبية المختلفة ، من الرومانتيكية ، والبارناسية الرمزية ، والطبيعية ، والمودرنزم ... » .

« البارناسية الرمزية » ربما كان مرده خطا مطبعي صحيحه : البارناسية والرمزية .

ويبقى بعد ذلك إلا علاقة للبارناسية بالقصة لانها حركة خاصة بالشعر ، اما الذي تميز بالقصة من المذاهب فهو الواقعية ...

ويبدو لي ان المودرنزم قلقة في مكانها؛ لانها في الاصل مصطلح نقدي في الادب الروسي ... لعله يتصل بالشعر اكثر مما يتصل بالقصة ، وادخل بالقرن العشرين منه بالقرن التاسع عشر ...

٧ — ص ٤٩ « كان ترجنيف يقول مواريا : ومعترفا بسبق جوجول في مجال القصة الحديثة : « لقد اتينا جميعا من تحت معطف جوجول » .

ا — « مواريا » الكلمة قلقة . وربما كانت موريا بتشديد الياء .

ب — ليس صاحب القول هو ترجنيف ، وانما هو دوستويفسكي .

٨ — ص ٥٧ « تشيخوف ... حين حصل على شهادة الطب هجره الى الادب ... » .

لم يهجر تشيخوف الطب ... وانما زاوله مع الادب؛ وزاول الادب معه ...

٩ — ص ٧٨ « وكان مصطفى المنفلوطي (١٨٧٦ — ١٩٢٤) ... وكتابه « العبرات » مجموعة من القصص الفرنسية ترجمت له وصاغها في اسلوبه الرشيق قصصا » .

الصحيح : ان قصص العبرات موضوعة ومترجمة . وقد جاء فيها تحت العنوان : « وهي مجموعة روايات قصيرة بعضها موضوع وبعضها مترجم » . هذا في العموم، إما في الخصوص فهو يشخص كل قصة في مكانها فيقول : اليتيم « موضوعة » . وكذلك يفعل عند ذكر : الحجاب ، الهاوية ، العقاب . ويقول : الشهداء « مترجمة » ، وكذلك يفعل عند ذكر : الذكرى ، الجزاء ، الضحية . ومنهجه ان يبدأ بموضوعة تتبعها مترجمة ثم موضوعة ثم مترجمة ... الخ .

٩ — ص ٨٩ « شلة ... » — اللفظة من العامية المصرية لا تستعمل استعمال الفصيح ولا تليق بمثل هذا الكتاب .

١٠ — « القصة في العالم العربي ص ٨٩ — ذكر سوريا ولبنان وفلسطين والعراق والسودان والمغرب العربي وليبيا والجزائر . ولم يذكر تونس والسعودية والكويت والاردن ... ولا موجب لوصف المغرب قطرا بالعربي . وورد من كتاب الجزائر اسم ابو العيد دود وصحيحه : دودو .

١١ — في الكتاب قصص مختارة عربية (ص ٩٧ — ٣٢٣) قلما ذكر المصدر الذي إستقاها منه ولم يراع توزيعها على الاقطار العربية . وفيه قصص مختارة إجنبية ص ٣٢٣ — ٣٨٢ لم يذكر مصدرها ولا اللغة التي ترجمت عنها .

جامعة بغداد — كلية الآداب — علي جواد الطاهر

النفخ في الصور

مفـرح كريـم

ها انذا انفخ في الصور
مشتعلا بالدم النافر في الاحداق
مرتجلا اغنية للبعث أو الموت .
ها انذا ابذر فيكم روح الشيطان
والعن من لم ينهض حتى الآن
فمن انتم ؟ !
اني أشهدكم كل مساء
حين تجيئون الى الغرف السرية ،
يخلع كل منكم اقنعة الخوف ،
ويلبس اقنعة التبريرات
فلا يتبقى منكم الا أشلاء من أحجار
اني أشهدكم أعوادا من حطب يابس
وظلالا شوهاء لاغنية الموت الجالس
في احد الاركان المنسية
اني أشهدكم حتى دون حروف للكلمات
من يربط بالصمت الالسنة الخائفة
الالسنة العرجاء ؟ !
من يطفيء قنديل الذات المتوهج بالرؤيا
كي يفرش فوق الادمغة
عبارات اللون الضائع .

*

انفخ في المساء
احمل توصية من كل الانهار
اقدم اوراقي للقلب مباشرة
مبتدئا بالثمر الطيب
والزمن المتنامي في الاعماق
اخطب فيكم بين النوم
واصحبكم في صحراء الصمت
لاوقد نارا للافعال التائهة .
ادعو زمن الفرسان الاول
يوقظ فيكم نخوتنا
كي ننقذ انفسنا من موت الايام
ادخل خيمتكم محتكما باللغة العربية
اركض فوق خيول الشمس
ادعو اولاد الحارات
وافتح (دوار) العمدة كي يأتي كل الفلاحين
ويأتي اهل الحل واهل العقد
وينهض كل الناس
ويمتشقون سهام الكلمات — الافعال
يجتمعون بصالات الغيطان
ويشعل كل منهم
توقيع النار
على منشورات الغضب الجارف .

*

القاهـــرة

سعدي الشيرازي

بقلم فوزي عطوي

* * *

عندما سمع بنيامين فرنكلين احدى عبارات سعدي الشيرازي من كتاب « كلستان » صاح معجبا :

« يجب ان تكون هذه احدى عبارات التوراة المفقودة » .

ذلك ان الروحانية الشفافة المتناهية الى الاسماع او الى الابصار من كتابات سعدي ، وما تتصف به من جزالة وقوة وشدة تأثير ، تذكر الناس بالآيات القديمة ، فلا يكادون يصدقون انها لمفكر مشرقي من بلاد ايران .

ولقد بلغ من تقدير الفكر العالمي لسعدي الشيرازي ، ان الكاتب الاميركي « امرسون » استشف الروح الانسانية الشمولية المنبعثة من ثنايا كتاب المفكر الشاعر الايراني ، فقال بغير تردد : « ان سعدي ينطق بلسان جميع شعوب العالم » .

شيراز وسعدي

فاذا اعدنا ، الآن ، عجلة التاريخ القهقرى ، وتذكرنا « شيراز » الحالمة في احضان ربيع يكاد يكون دائما ، المترامية الاطراف عند جنبات صحراء مزهوهرة مثمرة ، لا كتلك الصحارى القاحلة التي كانوا يسمعون بها او يرونها في بلاد الشام وشبه جزيرة العرب ، ادركنا اي تأثير قوي طبع ملامحه في شعر سعدي ونثره ، سواء بسواء ، وفهمنا بالتالي تعشق الرجل لشيراز ، المدينة التي تعددت اسفاره منها ، لكن مجذاف حنينه كان متطلعا اليها على الدوام ، اسمعه يقول بالفارسية :

شهر شيراز جو ديباي منقش ديدم ... زانهمه صورت زيباكه بران ديبابور

وتعريبه (نثرا بالطبع) :

رايت شيراز كديباج منقوش ... لكثرة ما كان عليها من بديع الصور

واسمعه يقول ايضا في الربيع ، ثمارا وازهارا عاطرة الاريج :

اين هنوز اول آذار جهان افروز است ... باش تاخيمة زند دولت نيسان وايار

شاختها دختر روشيزه باغند هنوز ... باش تا حامل كردند بانواع ثمار

وتعريب البيتين :

هذا اول آذار منور الدنيا ... صبرا حتى تخيم دولة نيسان وايار

والاغصان لاتزال البنات البستان العذارى ... فانتظر حتى يصبحن حوامل بانواع الثمار

سمات الادب الرفيع

لعلنا ، بعد هذا ، لو استعرضنا مجمل كلام سعدي الشيرازي ، نثرا وشعرا ، لاتضحت لنا سمات هي نفسها سمات الكتابة الادبية الرفيعة ، وما تتصف به من قوة بلاغية ، ومن بيان آسر ؛ وبساطة تؤكد من جديد انها والجمال توأمان ، كل ذلك الى متانة ورقة لا تتأتيان لغير ذلك الطراز من الكاتبين او الشاعرين الذين يبقى نتاجهم الفكري ، كما بقي كتاب « كلستان » ذاته لسعدي الشيرازي ، ومنذ سبعمائة سنة ، دائم التجدد ، فلا تبهت قيمته ، ولا يسقط معنى من المعاني الانسانية والروحانية السامية التي اذاعها الكاتب عبر سطوره .

ولئن كان هذا الكتاب يعد كتاب الاخلاق والتربية ، الذي طالما تناقلته ايدي طلبة العلم في ايران وفي غير ايران ، فان سر سيرورته واشتهاره عند الناس ، كونه بالاضافة الى مضمونه الاخلاقي السامي ، قد كتب باسلوب يتصف بالكثير من الانسجام والاتساق ، كما لا يخفى ما في شعره في « بوستان » خاصة ، من حلاوة الموسيقى وطلاوتها ، ومن روعة الايقاع ، وجمال الروي .

نقد .. ورد

ولقد يأخذ بعضهم على سعدي الشيرازي انه لم يتخصص في فن واحد من الفنون ، مثلما كان شأن الفردوسي في « الشاهنامة » او جلال الدين الرومي في « المثنوي » .

والمتخصص — على ما اصبح متفقا عليه — يستطيع الاتقان اكثر مما يستطيعه الآخذ من كل علم بطرف ، ولكن ذلك لا ينتقص من قيمة سعدي ، او بالاحرى من قيمة ادبه وشعره ، لا سيما وان كتاباته تتصف بجمالية ما يسميه علي دشتي « بالخط المنحني » الذي طالما اشار اليه علماء الاستيتيك (الجمالية) في جميع المجالات ، الفكرية منها والموسيقية والمادية .. ذلك الجمال النابع من بساطة لا تخفي ، في اي حال ، طاقة ابداعية رائعة تنبىء باكتمال التجربة الفنية لدى سعدي ، بل تشف عن تفوق آسر لم يتأت لغيره ان يحرز مثله ، فلا عجب ان وصفه بعض نقاده انه ، في مجال ابداعه ، بمنزلة المعلم الاول .

ولقد شاع في عصر سعدي الشيرازي ذلك اللون من الاسلوب المتقوقع على ذاته ، المحنط في قوالب من الجمود والتقليد اللفظي والمعنوي ، والسجع المتكلف الباهت ، لكن سعدي عرف اية مهمة ينتدب نفسه لها : لقد ضمن شعره كثيرا من الاقوال والامثال والحكم ، ورصعه بآيات وابيات عربية ، لكنه لم يسف ، ولم يقع في محذور التبذل ، اسلوبا او مضمونا ، بل عرف كيف ينقل العبارة بوضوح الى القارىء ، فاذا هي موائمة للمعنى ، لا متهدلة عليه ، ولا ضيقة يكاد ثوبه ان يتمزق من جرائها .

والى ذلك ، فلست ترى في آثاره : ولا سيما

« كلستان » اي سبيل الى الحشو او الغموض ؛ ولا سيما متى كان المقام مقام وعظ او ارشاد او تحذير ، فان العبارة تصبح ، ساعتئذ ؛ اكثر ايجازا ، ويصبح وقعها إشد اسرا وقوة . . .

شهرته العالمية . .

والواقع ان هذه المزايا جعلت بسعدي الشيرازي معروفا لدى الغرب قبل مئة عام من معرفة الغرب لاترابه وزملائه شعراء ايران وكتابها ، اذ ترجم شعره ونثره ، يضاف الى ذلك إنه كان كثير الإسفار ، مما انضج تجربته ، وجعله يفهم جميع دوافع النفس البشرية ونوازعها ونزاعاتها .

ولقد اخذ عليه ، احيانا ان بعضا من كتاباته يجعل من الغاية مبررة للوسيلة ، على طريقة الفيلسوف الايطالي ميكيافيللي في كتابه « الامير » الذي وجهه الى « لورنزو » الامير ، لكي يوحد إيطاليا بأي ثمن ، وبأية وسيلة تتفق له .

ولكن ذلك المأخذ لا يمكن ان يحسب عليه ، لان خبرة الرجل ومعرفته بأحوال البشر اكدتا ان تلك ظاهرة موجودة في المجتمع البشري ، فمن العبث التغاضي عنها ، او تجاهل حقيقة وجودها . وهو في اي حال يتطلع إلى رسم طريق التعامل السوي بين الناس ؛ علما بأنهم ليسوا سواسية في المواقف ، وبالتالي فلا يمكن ان يكونوا سواسية في التعامل .

وفي تقدير كتابه « كلستان » وبالاضافة الى ما اوردناه في مطلع هذا الكلام ، فقد قيل عن هذا الكتاب : « ان عام ٦٥٦ هو بداية فصل جديد في تاريخ الادب الايراني ؛ لان تاليف « كلستان » حدث لا نظير له الا للشاهنامة للفردوسي ، والمثنوي لجلال الدين الرومي » .

ولا ريب في ان ما تضمنه « كلستان » من مواعظ وتذكير للناس ، ومن تنبيه لولاة الامور ، وتحذير للرعية من مظالمهم ، عن طريق الموعظة الحسنة ، تجعله كتاب عبر وعظات مثلى . ولا شك في ان الباب الثامن من هذا الكتاب هو النموذج التام لتلك العظات الاجتماعية والدينية والانسانية المثمرة .

يقول الدشتي : « في هذا الباب الذي تقل فيه الحكايات ، والذي دونت فيه تاملات سعدي وافكاره في صورة عظات وحكم ، تظهر رفعة قدره بصورة جيدة واضحة . وبالاضافة الى ذلك ، فان كلستان جوهر دائم الاشعاع في الادب الفارسي ؛ لان جمال النثر وقواعد الانشاء السليم جعلته مقياس الفصاحة ، كما ان مطالبه وموضوعاته المتفرقة ، تصور اوضاع المجتمع ؛ وتبين اسلوب التفكير وطراز العقلية الايرانية في ذلك العصر من الزمان » .

ويستبق سعدي ؛ في خاتمة الكتاب ؛ اي مأخذ قد يورده الناقدون ، إذ يرون ملحه وفكاهاته غير متناسبة مع شيخوخة المؤلف ؛ ومقام الكتاب ، فيقول :

« ان معظم اقوال سعدي مبهمة ، مطعمة بالملح . لهذا يتطاول قصار النظر بالسنة الطعن والانتقاد ، فيقولون ان اجهاد الفكر ، وإحياء الليالي في ما لا يجدي ، ليس من عمل العقلاء . ولكن لا يخفى على ما عند ذوي البصائر الذين يوجه اليهم الحديث من فكر نير . ان سعدي نظم درر المواعظ الشافية في سلك العبارة الجميلة ، مازجا دواء النصيحة المر بشهد الظرافة وحسن البيان ، حتى لا تجفوها طبائعهم الملول » .

شعر سعدي

وننتقل من نثر سعدي الشيرازي الى شعره ، فنذكر ان النقاد مجمعون على تفوق سعدي الشيرازي في «بوستان» لا بل ان بعضهم لا يقبل قول من قال ان « كلستان » هو النموذج والقمة الفكرية التي بلغها سعدي ، وانما يعتقد جازما ان قصب السبق الذي احرزه الرجل انما كان بفضل « بوستان » الذي يحتوي على اكثر من اربعة آلاف بيت من الشعر . ويعتبر نموذجا رائعا للبلاغة والنضوج الانساني ، إذ ان من سماته البارزة حفاظه على مستوى من الابداع لا هبوط فيه ، وهذا ما يميزه عن الشاهنامة للفردوسي ، التي يتضح ان مؤلفها عانق الذروة حينا ، واسف حينا آخر ، حتى يكاد شعره يتبرأ من بعض شعره !

وبلغ من تعصب بعضهم لكتاب بوستان « الشعري » ان اديب بيشاوري الذي سئل رايا في الموازنة بين الفردوسي والشيرازي ، قال : « ان بوستان وحده يمكن ان يوازي الشاهنامة » (من الادب الفارسي — د. احمد لوا ساني) .

والواقع ان « بوستان » هو اروع نتاج سعدي ، لانه المثال الكامل للبلاغة والفصاحة ونضج القريحة من جهة ، ولانه من جهة ثانية اغنى آثاره مادة ، ونبل مقاصد . ونضوج فكر ، فضلا عما تضمنه من قواعد اقتصادية ومن مفاهيم ديمقراطية قل ان انساقت لشاعر آخر قبله ، وما تضمنه الى ذلك من اشاعة لروح العدالة ، ولمبادىء الاخلاق ، وقيم الانسان ومثله العليا .

فمن القواعد الاقتصادية التي اقرها ، قوله على لسان كسرى انو شروان ، مخاطبا هرمز : « انك اذ ترعى الفلاح فانما ترعى نفسك وتعود بالنفع عليك انت ، لان المأجور الراضي يعمل افضل ، ويعمل اكثر ؛ وتستفيد انت من نتيجة عمله » .

ثم ان سعدي يرى ان الناس تبع دوما لمنافعهم . والمسيئون يقدمون على عمل السوء استجلابا لنفع ، وقصدا الى فائدة ، فعلى المربين ومهذبي الاخلاق ان يروهم بالشروح والامثال والتشابيه المختلفة ان خيرهم وفائدتهم ومنفعة دنياهم وحياتهم هذه التي يحيون ، في ان يجتنبوا الشرور والمساوىء .

وهو يرى ان السبب في كون الكثير من الاوامر والنواهي الدينية يظل ضعيفا او يهمل كلية ، ينحصر في ان هداة الدين يحيلون عواقب التخلف عن تادية تلك الاوامر ، او اجتناب تلك النواهي ، الى الدنيا الآخرة . والدنيا الآخرة بعيدة بعدا لا يردع الإنسان الضعيف الحريص (هذا الانسان الذي يفتش عن منافعه الآنية واليومية) عن ارتكاب الشرور واقتراف المساوىء . فافضل طريق اذن للتهذيب واكثرها جدوى هي في ربط جميع التعاليم الدينية والاخلاقية بمنافع الناس ومصالحهم ، وفي اقناعهم بان الانحراف عن السبيل القويم يؤدي الى انهيار حياتهم ، وفساد معاشهم .

غزليات سعدي ومدائحه

وفي معرض الحديث على شعر سعدي ايضا ، نذكر غزلياته الرقيقة ، واتسام الديوان بها اتساما يجعله في صميم الغزل ، ويضفي عليه رونقا مستمدا مما يشيع فيه من البساطة والسلاسة وقوة البيان ، وما يتحقق فيه بصورة مثالية من انسجام شعري ، وما يشف عنه من انفعال آسر آت من كون صاحبه عانى وجرب وذاق طعم الحب ، وبلا مرارة الحرمان ، حتى غدا بفضل عاطفة الحب ، على ملك الدنيا . اليس هو القائل :

سيم وزرم كومباش مملكت الدنيا   روى توخواهم كه ملكروى زمين است

وتعريبه :

لا كان الذهب والفضة ولا ملك الدنيا   انما اريد وجهك الذي هو الملك على الارض

وبالاضافة الى شعره الغزلي ، نلقى لدى سعدي الشيرازي الوانا ، وان قليلة ، من المدائح التي وضعها اضطرارا حينا ، او حبا بالممدوح ، واقتناعا بمزاياه حينا آخر ، كما بالنسبة لعلاء الدين الجويني واخيه شمس الدين .

ولقد قام سعدي بمدح « انكيانو » الحاكم المغولي المطلق على فارس ، اضطرارا او حفاظا على طيب العلائق مع البيت الحاكم الجديد . ولكنه في مدائحه لا يسلك سبيل المادحين الكاذبين المغرين الحياة خنوعا عند اعتاب الولاة ، بل يعمد الى الموعظة والترغيب بعمل الخير ، والدعوة الى العدل ، والى رحمة الضعفاء ، من اجل نيل رحمة الخالق الجبار .

يقول سعدي :

عمل بياركه رخت سراي اخرتست   نه عود سازبكار آيدت نه عبرساي

اكبر توقع بخشايش خدايت هست   بجشم عفو وكرم برشكستكان بخشاي

وتعريبه :

الا فاعمل ، فالعمل ثوابك في بيت الآخرة

وهناك لا يجديك صناع العيدان لبخورك ولا طحنة العنبر

واذا كنت ترجو عفوا من ربك ورحمة   فانظر الى الضعفاء بعين العفو والكرم

وهو يدعو « انكيانو » مثلا الى عدم التعلق بالدنيا ، والى اطراح مباهجها ، في مثل قوله له :

بس بكردند وبكردد روزكار دل بدنيا درنبندد هوشيار

وتعريبه :

طالما دارت الايام وتدور   فلا يعلقن قلبه بالدنيا عاقل

واما دعوته الى العدل فطالما ترددت اصداؤها طويلا في شعره ، كما في نثره . اسمعه مثلا يمتدح اتابك بن ابي بكر بن سعد زنكي ، فيقول له ، داعيا الى احترام العدالة :

بند بنند ملوك اندرين سبنج سراي   كنونكه نوبت تست ايملك بعدل كراي

جه مايه سراين ملك سروران بودند   جو دور عمر بسرشد درآمد ندازباي

وتعريبه :

إن الملك في هذه الفانية بالنوبة والدور   اما والآن نوبتك ايها الملك فاعتصم بالعدل

كم كان على راس هذا الملك من ملوك عظام   فلما حان حينهم زالوا كان لم يكونوا

ولا ينسى سعدي ان يقرع الحكام اذا ما غدا بخور مجالسهم من الآهات اللهفى ، واذا ما اصبح عقيقهم من دماء العيون ، فيقول :

بخور مجلسش از ناله هاي دور آميز   عقيق زيورش از ديده هاي خونپالاي

وتعريبه :

بخور مجلسه از ناله هاي دور آميز   وعقيق زينته من دماء العيون الصافية

وهكذا يتضح لنا ان سعدي الشيرازي ، وان اضطر الى المديح اضطرارا ، بل وان ساقته اليه قناعة او محبة او رضى عن شمائل الممدوح ، فهو لم يذلل جبينا ، ولم يسلك مسالك الكذب والنفاق ، بل سلك سبيل المواعظ والنصائح ، واتصف بالشجاعة الادبية ، ومدح الفضائل التي لم يتصف بها الممدوح ، بل احس بالحاجة الملحة الى الاتصاف بها .

قيمته الادبية

لقد كان سعدي الشيرازي رفيع المكانة الادبية ، وكان شخصية فارسية فذة ، شأنه شأن عمر الخيام وجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي والفردوسي وسواهم ممن نتطلع الى يوم نستطيع فيه ان نعقد دراسة مستقلة عن كل منهم .

ومرد احترام سعدي الى مزايا اتصف بها ، فجعلته فريدا في شعراء عصره ، بل في اناس عصره ، اذ كان زاهدا ، عالما ، متواضعا ، بل حرا ضعيفا ، كما وصف نفسه ، فكان في الحقيقة ذلك الحر القوي الذي تجرأ ان يقول ، مخاطبا الملك :

هم از فرخنده مزجام تست   كه تاريخ سعدي در ايام تست

وتعريبه :

انه لمن حسن حظك الميمون   ان تاريخ سعدي في ايامك انت

ولقد صدق سعدي . فحسب ذلك الملك فخرا ان عهده كان في زمان سعدي الشيرازي . فكم من حكام زالوا عن صفحة الوجود ، فلم يلتفت التاريخ الانساني ليخلدهم باكثر من سطر واحد . بينما يبقى دوي الشاعر المترفع الابي ، ملء الآذان والبصائر ، يبقى صوت الانسان يهدر في ضمير الانسان ، فيعانق الخلود ، واصلا ازل التاريخ بابده ، في موكب لا ينتهي من العطاء والخلق والابداع .

فوزي عطوي

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢

حملت بلادي

عاد الشاعر الى وطنه فكانت هذه القصيدة

نايت عـن الفيحاء والعمر لـين ... وفي املي دنيا من الزهر والعطر
وما كنت ادري ما يخبىء لي غدي ... ولا همني ما سوف يحدث او ادري
ظننت الغنى شيئا يطيب مذاقـه ... فكان الغنى شيئا امر من الصبر
واغشى علـى عيني بريق سرابه ... ومنـى خيالـي بالجوائز والاجـر
ولما انجلى وجه الحقيقة لـم اجد ... سوى حسرة ادهى من الفل والفقر
تحديت احـداث الزمان بغربتـي ... وجابهت منه مـا اعد من العسر
فلـم اتنازل عـن شموخ كرامتي ... ولـم اتهاون بالنبيل مـن الكبـر
كتـاب حياتـي عـزة عربيـة ... تدبجه الاخلاق سطرا الـى سطر

حملت بـلادي في بيانـي قصائدا ... تضيء قوافيها علـى هامة الدهر
حملت بـلادي في فعالـي شمائلا ... لها جوهر الايثار في السر والجهر
حملت بـلادي في فؤادي عواطفا ... تفيض بسلسال من الصدق والطهر
حملت بـلادي في جهادي مواقفا ... بهـا شرف الاخلاص للمبدا الحر

متـى صنفت للعالمـين مراتـب ... فنحن ، بناة الحرف ، اجدر بالصدر
اذا كـان مـال الاغنياء لصفوهم ... فاثرانا للبـذل والنفـع والبـر
وكانوا ومـا زالوا عداة نفوسهم ... بما عودوها من فجور ومن سكر
وشتان بـين الجهد يبـذل للعلى ... وآخـر يهـدى للدناءة والعهـر
وباهـوا باموال لهـم وودائـع ... ولا هـذه او تلـك تصلح للفخر
فكـل عقـار يجعل المـرء عبده ... وكـل حطام منـه يدخل في اسر
وليست كنوز الارض عندي وان غلت ... باعظم من بيت رقيق من الشعر
اذا ثمنوهـا لا تعـادل دمعـة ... بوجنة امـي عندما يذري ذكري

بلادي اهواها ولـو كان مثلهـا ... مئات من البلدان في البر والبحر
فكيف ومـا في الارض فوق بهائها ... بما فيه من وقع وما فيه من سحر ؟

نايت عـن الفيحاء والعمر لـين ... ولم يك نايي عن ملال وعن هجر
وعدت اليها حـين جفت ازاهري ... ولم ار في روضي سوى الغث والقشر
وكنت اخال الشوق يخمد بعد ان ... اخذت مـن الايام في قربها ثاري
فـزاد وزادت لوعتـي وهواجسي ... ولم يمحها ما قد لقيت من البشر
اخاف النوى من قبل ان تحكم النوى ... واخشى عذاب البعد منقبل ان يجري
وصرت كاني ظامىء ليس يرتوي ... ولا يرتوي من يجرع الماء من بحر

اعود اليها بعـد عشرين حجـة ... وماضي ذخري حين تسال عن ذخري
اعـود اليهـا الآن والقلب متعب ... وليس بكفي مـا اشد بـه ازري
تلاشى طموحي واستنارت بصيرتي ... وزال غشاء الوهم والظن عن فكري
وادركت اني كنت اطمع بالحصى ... وزهن يدي ما عز من اثمن الدر
وما انـا الا فارس بنده انطوى ... وقد كان رمز الباس في الكر والفر

الهي مـا لـي غير عفوك ملجأ ... ولطفك اسمى من شرودي ومن وزري
انـا المذنب المسؤول عمـا اتيته ... من البغض والتضليل والمين والكفر
رجائي وشمسي اصبحت في مغيبها ... ولم يبق من عالي سناها سوى شبر
قضيت وراء اليـم عمري فليكـن ... هنا في بلادي بين اهلي هنا قبري

بوانس ايرس ـ الارجنتين

الياس قنصل



ثلاث قصص

بقلم رستم كيلاني

— ١ —

الطفل .. والحذاء

عاد « محمود » من مدرسته ، وخلع ملابسه ، وامسك بحذائه بتحسر ، وظل يتأمل كل جزء فيه ، كان الحذاء ممزقا لا امل يرجى من اصلاحه .

وصمم على ان يصارح والده بامر حذائه ، ويخفي عنه سخرية زملائه حفاظا لكرامته .

وعندما عاد والده الى البيت متعبا ، لم يرد « محمود » ان يصارحه خوفا من ان يغضب منه او يثور في وجهه .

واحس باختناق ، فهرع الى الطريق ، وقطع في السير شوطا زائغ النظرات بلا هدف او غاية .

ولفت نظره رجل يبسط على الارض احذية مستعملة يعرضها للبيع على المارة ، وبلا شعور تقدم « محمود » نحو الرجل وساله عن ثمن الحذاء الواحد ، فعلم انه بستين قرشا .

ولما عاد الى بيته جلس يفكر ويسائل نفسه كيف يحصل على ثمن الحذاء ؟

ايقول لوالده .. لا .

ايقول لوالدته .. لا .

لقد عاش طوال حياته الدراسية لا يثقل على والديه في طلباته رغم انه وحيدهما .. وكان يقتصد في مصروفاته الضرورية بقدر ما يستطيع حتى يعوض ما يحتاج اليه من كراسات واقلام طوال السنة الدراسية ، انه يدري بحال والديه ، فاذا كان يعلم ان لديهما ثمن حذاء جديد لطالبهما بشرائه وهو على يقين انهما لن يبخلا عليه به .

وبينما هو على حاله خطرت فكرة في راسه انفرجت لها اسارير وجهه ، فقام من جلسته ، واخرج من تحت سريره (سلة) كبيرة مملوءة بكتب مدرسية قديمة .. لقد وجد الحل .. سيبيع هذه الكتب وبثمنها سيشتري الحذاء .. ولم يسمع كلمات السخرية والتحقير من زملائه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا بواقعه .

وخرج « محمود » حاملا (السلة) وباع ما فيها من الكتب وتجمع لديه ثمن الحذاء ، وذهب واشتراه .

ولما عاد الى بيته ، لم ينم وظل حتى الصباح يحدث نفسه :

لن البس الحذاء المقطوع مرة اخرى .. لن اسمع في الغد كلمات السخرية من « سامي » و « علي » .

لن تحس اصابعي بخشونة الارض او حصوات الطريق بعد اليوم .. لقد انتهت كل متاعبي .

وبات يحلم بالغد .

ذهب الى المدرسة في الصباح .

كان الحذاء يثير ضجيجا عاليا شان احذية رجال الجيش ، وبذلك لفت اليه انظار واسماع رفقائه بالمدرسة .

وبدات الاقاويل تطل براسها بعد ان سكتت بفترة قصيرة من الزمن وحزن « محمود » من جديد .

ووصل الامر الى الناظر : فاستدعي « محمود » على الفور يسأله عن الخبر ، فقص عليه قصة الحذاء ، وتأثر الناظر لسماع قصته .

وفي طابور صباح اليوم التالي ، وقف الناظر ومن حوله الوكيل



والمدرسون واخذ يقول في صوت محتدم :

ــ تألمت اشد الالم عندما سمعت بمعاودة اسلوب السخرية والتهكم على زميلكم « محمود » بينما انا واساتذته فخورون به كل الفخر لتصرفه الحكيم في شراء حذائه الذي تتندرون به ، وتستهزئون بلابسه الذي لم يرهق اهله بثمن حذاء جديد لانه يحس بحالهم حتى ولم يشعرهم بشرائه .

اليس من الواجب عليكم ان تفخروا به بدلا من الازدراء به والتعرض له ؟

وسادت فترة قصيرة من السكون ، قاطعها الناظر عندما استدعى « محمود » من بين اخوانه في الطابور ليقول له :

ــ بكم اشتريت حذاءك هذا ؟

ــ بستين قرشا يا استاذ .

واخرج الناظر من جيبه ستين قرشا واعطاها له قائلا بصوت عال اسمع جميع التلاميذ :

ــ ارجوك ان تشتري لابني حذاء مثله ومقاسه .

ــ امرك يا استاذ .

وانبسطت اسارير «محمود» وعاد بالنقود في يده الى مكانه في الطابور وهو يدق بقدميه الارض ، بينما كانت نظرات زملائه تشمله بدهشة .. وخجل .

— ٢ —

الطفل .. والعصفور

عندما عاد الى البيت ، وجد امه تجلس القرفصاء على تلك الاريكة التي تواجه مدخل الدار ، فحياها بتحية المساء .. وعندما جلس بجانبها اخرج من جيبه ورقة مالية بخمسين قرشا ، دسها في يدها دون ان ينطق بكلمة واحدة ، فامسكتها بيدها المرتجفة ، ولم تساله عن مصدرها .

وقامت من جلستها واتجهت الى

غرفة ولدها باحثة عـن شيء طرق بذهنها .

وعندما عادت اليه تساله بنبرات حزينة :

ــ حتى ذلك العصفور ؟

فقال لها بصوت واهن :

ــ عندما يشفني والدي باذن الله ، سيعوضني عنه .

وصمت ، ورانت بينهما لحظات صمت مطبق تعبر عما تخالجه نفس كل منهما من تضحية في سبيل الرجل المريض .

ثم جذبته الى صدرها ، واحتضنته في حنان ، وقد احس بدمعة ساخنة سقطت على خده .

وفي غروب كل يوم كان الصغير يسير على الرصيف المقابل لمحل (كل صنف) الذي بـاع عصفوره لصاحبه .

فيرى عصفوره من بعيد معلقا عند مدخل المحل ، ورغم ضجيج الشارع كان يود ان يسمع غناءه وشدوه ، ولكن دون جدوى .

ومرت ايـام انشغل فيها عـن الذهاب الى رؤية عصفوره ، وذلك بسبب شدة مرض والده وملازمته له خلال الازمة الحادة التي انتابته .

حتى جاء ذلك اليوم الذي عثرت فيه يداه على بقايا طعام عصفوره المبيع فتذكره ، وحمل ذلك الطعام وهرع الى هناك .

وفوجيء بان محل (كل صنف) مغلق ، وعندما سال احد جيرانه علم بان صاحبه ملازم الفراش منذ يومين بسبب وعكة صحية اصابته .

وانشغل ذهنـه ، سـائل نفسه مـرارا :

كيف ذلك ، والعصفور ، العصفور يموت جوعا بهذا الشكل .. كيف ؟

وحاول ان يطمئن على عصفوره ، ولكن كيف ؟ وارتسمت امام عينيه الالف من علامات الاستفهام ؟

وظل حائرا ، ثـم اهتدى اخيرا لمحاولة رمي منديله امام المحل ، ولما رماه انحنى كمن يلتقطه ، وتقارب اذنه الى باب المحل المغلق عسى ان يسمع صوت عصفوره ، كان يريد ان يطمئن على حياته .

وبينما هو كذلك شعر بيد قوية هبطت على كتفه كاد بسببها يقع على وجهه ، كانت يد شرطي ، وصرخ في وجهـه :

ــ قم يا لص .

فالتفت اليـه الصغير في ذعـر ورعب ، قائلا :

ــ لست لصا ، لقد سقط منديلي على الارض عفوا فانحنيت لانتشاله .

وجذبه الشرطي مـن قميصه ، وتكاثر النـاس حولهمـا ، وصرخ الصغير ودموعه تنهمر على خده وهو في قبضة الشرطي :

ــ انني اعرف صاحب هـذا المحـل .

وقال الشرطي في سخرية :

تعرفه .. صديقك .. تعال معي .

وبينما هو يجذبه خرج من بـين الواقفين صوت رجل طيب يقول :

طالما هو يعرف صاحب المحل ، فخذه الى بيته لانه مريض وعندها تتبين لك حقيقة الامر .

ووافق الشرطي علـى مضض ، واخذه معه ، وارشدهما طفل الى بيت صاحب محل (كل صنف) .

وعندما دخلا غرفة الرجل المريض ، تذكر الصغير رقدة ابيه ، ولما سأل الرجل الشرطي عمـا يريد ، اجابه الشرطي قائلا :

آسف لازعاجك ، ولكن هذا الطفل وجدته يقترب من اقفال باب المحل بحجة ان منديله قد سقط منه عفوا ، وعندما قبضت عليه ادعى معرفتك .

فسارع الصغير قائلا :

ــ الا تعرفني يا سيدي انا الذي بعت لك العصفور .

ــ آه العصفور .. نعم لقـد تذكرتك .

وسكت لحظة ، ثم واصل حديثه للشرطي :

ــ طالما عرفته .. اظن لا داعي للقبض عليه .

وعندما انصرف الشرطي ، عاد الرجل يسال الصغير عـن السبب الذي دعاه للذهاب الى المحل .

وبدا الصغير يقص عليه طرفا من قصته وهو يكاد ان يبكي ، قص عليه قصة والده الملازم للفراش ، وسر حبه لعصفوره .. وقبل ان ينصرف ، قـال :

ــ شفاك الله يا سيدي ، وقبل ان انسى هذه بقايا طعام العصفور خذها يا سيدي فهي هدية بسيطة اقدمها له .

وبينما كان الصغير يمد يده لاعطاء الرجل الطعام ، استطرد الرجـل قائـلا :

ــ دع طعـام العصفور معـك فلست في حاجة اليه .

وهمس الرجل في اذن الخادم الذي كـان يضع كوبا مـن الماء بجوار الفـراش .

وبعد لحظات عـاد الخادم يحمل القفص المعدني الذي يسكن العصفور الصغير بداخله ، كان العصفور يغني ويشدو كانه عرف صاحبه .

وقال الرجل للصغير وهو يعتدل في رقدته :

ــ خذ هذا العصفور .

ــ آسف يا سيدي .. كيف آخذه وليس معي ما استرده به .

فابتسم الرجل قائلا :

ــ انه هدية مني اليك .

ووقف الصغير مشدوها لا يكـاد

يصدق ما حدث . وكاد وبدون وعي ان ينصرف ومعه عصفوره الجميل ، فنادى عليه صاحب البيت قائلا :

— تريث يا صغيري قليلا .. هذه هديتك انت ، اما هديتي لوالدك فخذ هـذه .

ودس في يده الصغيرة ورقة مالية كبيرة ، وعجز لسان الصغير مـن الشكـر .

خرج الصغير الى الشارع تسابقه احاسيس شتى ، وانفعالات متباينة وكانه يقول في نفسه :

— إنني اسعد انسان في العالم .

لقـد كانت هناك سعادة كبيرة يحس بها ، كان يطوي في احدى يديه الورقة المالية ، كأن اصابعه خزانة حديدية محكمة تحتويها .

وفي يده الاخرى القفص المعدني الـذي يستكـن بداخلـه عصفوره الحبيب ، وقد ارتسمت على شفتيه بسمة فرحة ، وثمة خطان من الماء الساخن ينسابان مـن عينيه يبللان وجنتيـه .

— ٢ —

الطفل .. واللوحة

انتهت الحصـة الاولى .. وتلتهـا الحصة الثانية .. وكان الدرس فيها عن التربية الفنية .. وكان المطلوب من الصغار تجسيم لوحة تمثل آثار العدوان ، وثار الشعب مـن اجل استرداد حقوقه المسلوبة .

وبدا « عبدالله » البالغ من العمر اثني عشر عاما يضع الوانه علـى اللوحة الموضوعة امامـه راسمـا طائرات العدو وهي تحلق في السماء، تتساقط منهـا القنابـل ، والجندي العربـي الباسل يتربص بمدفعـه ليصيب احدى الطائرات المغيرة .

وتوقف الصغير قليلا عن الرسم ؛ وتذكر والده الذي يتمثل في شجاعة الجندي الذي رسـمه ، تذكر ذلـك اليوم الذي وقف هو وامه يودعان والده على محطة القطار قبل سفره الى العاصمة ليلبي نداء الوطن ، نعم يتذكر ذلك اليوم جيدا ، فعندما حمل القطار والده وابتعد وتوارى عـن الانظار ، احس بقلبه قد انخلع ، كان القطار اخذه معه ، فلأول مرة يسافر والده ، او يغيب عنه .

وعندما عاد هو وامه الى الدار التي بدت لهما موحشة بعد ان غاب عائلها ، وخلت منـه ومن صوته العميق الذي كان يتردد بين جنباتها مناديا لامه ، او طالبا منه اداء واجبه المدرسي .. قضيا هزيعا من الليل لم يغمض لهما جفن .

ومرت الايام تلو الايام .. والاشهر عقب الاشهر .. واكتملت الشهور عاما بعد عام ، ولم يعد والده .. بل استشهد في الميدان .

وامتلأت عيناه بالدموع ، ثم عاد الى لوحته بدفعة قوية وبروح عالية تملأ نفسه بغضا وحقدا لهذا المستعمر الذي قتل والده .

ورسـم في اسفل اللوحة طفـلا صغيرا مصابا مرتميا علـى الارض تنزف منه الدماء الطاهرة .

وبينما كان يرسم راس الام التي تحنو على فلذة كبدها المصاب ، فزع وارتمت الفرشاة من يده هو ومن معه مـن التلاميذ وهبوا مـن مقاعدهم مرتاعين ، مذعورين علـى صوت الطائرات المغيرة على القرية ، وكأن السماء قد انطبقت على الارض ، فلم يعد يدري هو ومن معه الى ايـن المفـر .

وبينما الصغار في هرج ومـرج محاولين الخروج من فصولهم القت طائرات العدو على المدرسة قنابلها وامطرتها بوابل من صواريخها الهاتكة فاصبحت خاوية علـى عروشها ، تطوي تحت ترابها اشلاء صغيرة من ازهار هذه المدرسة .

وتم نقل باقي التلاميذ بين الحياة والموت الى المستشفى وقد كان من بينهم « عبدالله » .

واسرعت امه الى المستشفى مع امهات جميع التلاميذ ، وراته على احد الاسرة المتراصة في العنبر الكبير جسـدا ممدودا قد إختفى تحت اغطية ولفائف ، لا يبدو منه الا وجه صغير ذو عينين مطبقتين .

ومرت لحظات علـى الام كأنها الدهر وهي تجلس عند قدمي إبنها لا تحول نظرها عنه وفي عينيها دموع بكـاء .

وما ان حلت بوادر المساء حتى رفع « عبدالله » جفنيـه واختلجت شفتاه تهمهمان :

امي .. امي اللوحة لم تتم بعد . اللوحة .. اللـ .

ولم تعرف الام ماذا يقصد فسارت تهرول مسرعة الى الطبيب تستدعيه.

وعندما عادا كان « عبدالله » ما يزال يهذي ، وحاول الطبيب ان ينتزع من كلماته المتقطعة ماذا يقصد مفسرا ما يعنيه لامه .

وعاود « عبدالله » يقول وقـد تضاءل صوته كانه صادر من اعماق بعيـدة :

— اللوحة .. لـم تتم بعد يـا امي .. يـا .. يـ .

وحل به التعب ، وانهكت الكلمات قواه ، وماتت على شفتيه ، ثم فاضت روحـه .

وصرخت الام ، وارتمت على ابنها تحتضنه ، وإنخرطت في البكاء .

ولم تنقض دقائق معدودة ، حتى قالت الام في صوت مخنوق ، وهي منحنية على جثة ولدها ، تتحسس بيدها راسـه ، وقد لاحت على ثغرها بسـمة وعيناها نديتان بالدموع :

إسترح في رقدتـك الابدية يـا صغيري فانـي ارى بشائر اشراق شمس الامـل .. والسلام تقترب منا .. وسنكتمل لوحتك بالنصر عن قريب .. نعـم .. عن قريب .. قريب جدا .

القاهرة — رستم كيلاني

شد الرحال

*

ابعد مـا يبدا الـزوال   يعود إشراقنا ؟.. محال
ترنـمي ، واعـزفي ، وسيري   بـلا رفيـق ، وفي رمال
حبيبتي لـم تـزل خيالا   ولـم اعـد املك الخيال
ولـم اعـد احسـن التمني   واصنـع المـرآة المثال

علمت إن الجمال وهم   وان اوهامنـا الجمال
وان معشوقتي تـراءى   كمـا تـراءى ولاح آل
وان اشواقنـا ستبقـى   بغيـر نقص ولا اكتمال
فمن بعيد يحط طيري   ومـن قريب اراه شال
امـن خبال الظنون اني   ظننت ظنـي مـن الخبال

وقيل فوق التلال ريم   وقيل مـن خلفها غـزال
فلم اجدها سوى تلال   تلوح مـن بعدها التلال
ولم تجنني سوى مجد   يظل يقتاته الكلال
إسر حوا من ابتكاري   وسحرهـا نفثـة الرجال

قفي وسيري بلا اتجاه   فلا جنوب ولا شمال
وانمـا غايتي امتداد   لخمـر اوهامي الحلال
وكحلي رؤيـة الصحارى   بطيـف حلـم او ابتهال
ولا تقولي : بدا شخوص   على المدى او على الاعال
فانما ابصرت عيوني   شخوص جفني بالاكتحال
وليس ياتي من انتظرنا   وان شددنا لـه الرحال

ترنمي واعزفي لجوني   ولـن تـرد الصدى الجبال
ولا تنامي على سرير   مـن الاماني والاحتفال
فليس في افقنا سنمشي   وليس في كفنا الهلال

ترنمـي واعزفي خطانـا   نشيد شوق بلا نوال
وسلقيها الـذرا وعودي   فدحرجيها بلا انفعال
فهكـذا دورة الامانـي   وهكـذا احكم المجال
وهكذا يظل ضوء النـ   ـجوم ترنو لـه الظلال

وان رايت الحياة يومـا   صفت ومدت لك الحبال
فحدثيني ـ وانت نفسي ـ   بـان اقبالهـا دلال
وان طفل الخداع منها   تسام حبلى بـه الليال

ولا تقولي : الام نمضي   ولا وصول ولا احتمال
ولا حبيب يتم نقصي   ولا تعالي ولا تعال
ولا هطول على جفاف الـ   ـنفوس او ظماة النبال
اليس من حقنا التسلي   وليس من حقنا السؤال

الرياض   عصام الغزالي

ابو بثينة محمد عبد المنعم
الشاعر الشعبي المصري
وذكريات عن مؤتمر الزجل العربي

بقلم وليم صعب
صاحب مجلة « البيدر »

* * *



صدر عدد (الاديب) — نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ ، جاء لأحمد امين ما يلي :

« ان المؤرخين قد قصروا فاهملوا الجوانب الشعبية عند كتابتهم التاريخ ، مع ان الادب الشعبي لا يقل شأنا عن اللغة الفصحى وادبها ، سواء من حيث فنها او من حيث دلالتها على حالة الشعوب » .

وفي (بريد الاديب) السابق ، وتحت عنوان « ابناؤنا يموتون في صمت » جاء في كلمة للكاتب الاديب الاستاذ وديع فلسطين : « الزجال ابو بثينة محمد عبد المنعم توفي في ٣ يونيو ١٩٧٩ » .

انه لنبأ فاجع نتلقاه عن الاخ الحبيب الشاعر الشعبي المصري الكبير محمد عبد المنعم الذي اشتهر منذ عقود من السنين بلقب (ابو بثينة) ، وقد طغى هذا اللقب على اسمه لكثرة تداوله . وكنا ، منذ ما يقارب السنتين ، قد اتصلنا بالاستاذ محمد حسن كبير المحررين في مجلة (المجال) الصادرة في تونس نسأله عن الصديقين العزيزين الشاعرين : محمود رمزي نظيم ومحمد عبد المنعم ، فاعلمنا ان الشاعر (نظيم) توفاه الله ، وان (عبد المنعم) ما يزال على قيد الحياة . اما سؤالنا فكان نتيجة الانقطاع الطويل الذي سببته الاحداث ، ولان الرابطة المتينة التي تشدنا الى الشاعرين العزيزين تعود الى العام ١٩٤٥ عندما عقدنا في لبنان مؤتمر الزجل العربي الكبير وقد مثلا مصر فيه افضل تمثيل .

ولا بد هنا من ايراد لمحة تعود بنا الى ما جرى من اعدادات لذلك المؤتمر . ففي ١٥ نيسان ١٩٤٤ ، وبعلم وخبر من وزارة الداخلية اللبنانية يحمل الرقم ٥٣٠ تأسست في بيروت (جمعية امارة الزجل) ، ومن ابرز اهدافها : انشاء فروع في كل المناطق اللبنانية ، والتعاون مع معتمدين في بلدان العالم العربي والمغتربات ، رفع مستوى اللغة العامية وتقريبها من الفصحى في كل الاقطار العربية لحماية الفصحى بالقضاء على التعابير الاقليمية المحصورة الغريبة عن القاموس الا المستأنس منها ، عقد مؤتمرات تضم شعراء الزجل في مختلف الاقطار الناطقة بالعربية ، نشر دواوين الغائبين والحاضرين من شعراء الزجل ، إحياء حفلات في كل المناطق اللبنانية والاقطار العربية والمغتربات ، تمثيلية وعكاظية ، تظهر فيها العزة الوطنية وتكون خير دعاوة للاصطياف ونشر المثل العليا ، بعث الرابطة الروحية والالفة الثقافية بين لبنان والاقطار العربية والمغتربين الناطقين باللغة العربية .

وبعد سنة من عمل جاد تمكنت الجمعية من تحقيق الكثير من اهدافها ، وكان اول عمل قامت به الطلب إلى مجلس بيروت البلدي اطلاق اسم رشيد نخله امير الزجل اللبناني وناظم النشيد اللبناني على احد شوارع بيروت فوضعت لوحة باسمه في احد شوارع (حي الظريف) حيث كان يسكن .

وكان معتمد جمعية امارة الزجل في مصر الشاعر حسين طنطاوي سكرتير محكمة فاقوس الاهلية الذي قال من قصيدة في ربيع سنة ١٩٤٥ وكانت الحرب العالمية الثانية في نهايتها ، ونحن نثبت هذا هنا الآن لاننا في مطلع فصل الربيع والدنيا في كل مكان قائمة غير قاعدة :

الربيع هلت بشايرو وابتدينا ... في النسيم الحلو والجو البديع
والشتا سلم علينا وانتهينا ... من زعابيبو ومن بردو الفظيع
لما ودعناه لقينا بين إيدينا ... ضيف نحبو ، وكلنا نحب الربيع
الطبيعه والربيع زي الحبايب ... تبتسملو لما تعرف يوم حضورو
بعدما كانت حزينه وهوه غايب ... بان عليها الفرح من ساعة ظهورو
من جيوش الزهر فامتلو كتايب ... نورت ، والورد عبر عن سرورو
الجناين تنعشق م اليوم ورايح ... وابن آدم عنها بيغمض عيونو
كل همو في المجازر والدبايح ... لاجلها يسهر ولا تدبل جفونو
ليه يفضل منظر الدم اللي سايح ... عن جمال الورد الاحمر فوق غصونو
قنبله تنزل على جنينه جميله ... بعد غمضة عين تخليها خراب
يعمل ايه الورد ؟ ما باليد حيله ... لسه بيفتح وفي سن الشباب
لو تكون الرحمه في الدنيا قليله ... دعوة المظلوم ضروري تستجاب

إننا نرجو ان نعرف شيئا عن الاخ الشاعر حسين طنطاوي .

ونعود الآن الى سياق حديثنا ، فبعد ان اسست جمعية امارة الزجل فروعا لها في معظم المناطق اللبنانية ضمت مئات الشعراء الشعبيين ، وبعد ان ساهمت هذه الفروع مساهمات فعالة في الحقول الاجتماعية ؛ قررت عقد مؤتمر للزجل العربي في لبنان فساعدتها الحكومة اللبنانية بمبلغ عشرة آلاف ليرة لهذه الغاية . وفي اوائل تموز من عام ١٩٤٥ توجه وفدها الى الاقطار الشقيقة وكان مؤلفا من مؤسسها كاتب هذا المقال ومن الشاعرين

يوسف حاتم وخطار ابو ابراهيم اللذين فقدناهما : الاول سنة ١٩٥٧ والثاني سنة ١٩٧٩ . وكانت مصر من بين الاقطار التي زارها الوفد داعيا الى المؤتمر .

في الطريق الى مصر مر الوفد بفلسطين . وفي ٢٤ تموز ١٩٤٥ اذيع حديث من (محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية) ، ومما جاء فيه قول المذيع :

« معنا الآن في هذا الاستوديو مندوبو امارة الزجل في لبنان في طريقهم الى القطر المصري الاساتذة : وليم صعب امير الزجل اللبناني ورئيس جمعية امارة الزجل ، الاستاذ يوسف حاتم مدير فرق الجمعية ، الاستاذ خطار ابو ابراهيم رئيس لجنة النشر بالجمعية . وانه ليسرنا ان نلتقي اعضاء وفد امارة الزجل اللبناني في جلسة عائلية نذيعها عليكم الآن . وارجو ان يتاح لنا فيها فرصة سؤالهم عما يهم عالمنا العربي ان يعرفه عن كل ما يتعلق بالزجل في لبنان الشقيق » .

وعلى سؤال للمذيع قال فيه : « هذا امل كبير ، ان تحقق ، ان يستطيع العرب جميعا ان يفهموا لغة الزجل في مختلف الاقطار ، ولكن كيف ستتغلبون على اقليمية الزجل ؟ »

اجبنا بما يلي :

ان البحوث الهامة في مؤتمرنا المزمع عقده ستدور حول اقليمية الزجل ، وسنتغلب عليها بتوحيد المفردات الخاصة والدخيلة باستعمال الكلمات العربية التي يقرها القاموس العربي ، مع الاحتفاظ ببعض المفردات والتعابير الاقليمية التي تستسيغها الآذان بعد تعميمها . وامارة الزجل اللبناني ترى انها ، بخدمتها العامية وترقيتها على هذا النحو ، انما تخدم العربية الفصحى الام التي كان لبنان ، وما يزال ، من اخلص المحافظين عليها بشعرائه وصحافييه ولغوييه ومعاهده . والشعر الزجلي الذي ساهم في جميع نهضات الاقطار العربية يثق اليوم بمقدرته على المساهمة الفعالة في هذه النهضة الحديثة الجبارة التي خلقت وعيا قوميا في كل من هذه الاقطار . وغارق في الجهل من يستطيع الكتابة لعشرات الملايين وينكمش في نفسه ليكتب لعدد محدود من الناس . ولا ريب في ان هذا المؤتمر سيوجد تضامنا بين الاقطار العربية عن طريق شعراء الزجل الذين لهم تاثيرهم الكبير على اغلبية الجماهير لانهم يخاطبونها بلغة الشعب دون تصنع او تكلف .

وكان الترحيب بالوفد اخويا حارا في القطر المصري .

وكانت هنالك بوادر نفور من العاملين والعاملات في حقل الفن من اللبنانيين ازيلت في سهرة اقيمت في دار السفارة اللبنانية لوفد امارة الزجل ، ضمت ، بناء على رغبة الوفد ، اركان الفن المصريين واللبنانيين ، ومما كتب عنها الشيخ صلاح المنذر آنذاك ، وكان احد اركان السفارة ، الى وزارة الخارجية اللبنانية يقول : « ما فرقته السياسة جمعه الفن » .

ومما كتبته الصحف المصرية في مجال الحفلات التي اقيمت للوفد :

« اتيح لسكان القاهرة ان يستمتعوا في جلسة شرقية هانئة باطايب الغناء العربي والاستماع الى نخبة من شعراء الزجل اللبناني ، وان يشهدوا لونا من الوان الادب الشعبي الطريف . وكانت المرة الاولى التي اقيمت فيها حفلة من هذا النوع في دار التمثيل العربي لاكثر من عشر سنوات وكان نجمها خليفة امير الزجل اللبناني المرحوم شحرور الوادي . اما هذه المرة فاقيمت الحفلة بحديقة النادي الشرقي بشارع سليمان باشا ، وكان نجومها اللامعون الاساتذة : وليم صعب صاحب جريدة امير الزجل ، خطار ابو ابراهيم ، يوسف حاتم ، ثم المطربتين : السيدة لور دكاش والآنسة (صباح) . وقد لبى الدعوة الى هذه الحفلة معالي الاستاذ عبد المجيد بدر بك وزير الشؤون الاجتماعية ، ونخبة من الادباء ورجال الصحافة ، وافتتحت الحفلة بالنشيدين : المصري واللبناني . وبعد ان قدم الاستاذ بركات بركات الحفلة وابان الغرض منها وقف الاستاذ وليم صعب امير الزجل اللبناني فافاض الحديث عن امارة الزجل ، وحيا الادب الشعبي ومكانته من الفصحى ، وابان تاريخه وتطوره في نفوس الافراد والجماعات ، وشرح معنى (المواليا) وذكر ان الذين ابتدعوه هم شعراء العصر العباسي للبكاء على قبور البرامكة . ثم بين الغرض من الدعوة الى عقد مؤتمر عام للادب الشعبي في لبنان ، وانه سيشترك في هذا المؤتمر الذي يعد الاول من نوعه اكبر عدد ممكن من الشعراء الشعبين في الاقطار العربية . وقال ان في لبنان اكثر من ثلاثين لهجة منتشرة بين الساحل والجبل تجعل بعض المفردات غريبة عن اسماع الافراد ، فكيف يكون الامر اذا بين ابناء قطرين مختلفين . وضرب المثل بالعامية المصرية التي شاعت في افلام السينما والاغاني البلدية التي تسمع في الاذاعات ، وقال ان في هذه الافلام وتلك الاغاني كلمات غريبة على اسماع ابناء العربية من غير مصر ، وان الغرض من هذا المؤتمر هو ، في المرتبة الاولى ، توحيد المصطلحات الشعبية .

وانشد الاستاذ يوسف حاتم مقطوعات زجلية بمصاحبة الموسيقى وتوقيع المتفرجين . وغنت السيدة لور دكاش دور ميجانا وعتابا ، كما قدمت الآنسة صباح (شحرورة الوادي) الوانا من الغناء الشعبي بمصاحبة موسيقى الاستاذ سامي الشوا . وقدم الاستاذ خطار ابو ابراهيم مقطوعات زجلية من نظمه .

وجاء دور الزجالين المصريين لتحية اخوانهم فالقى الاستاذ محمد غالب المهندس مقطوعة مطلعها : «يا سامعين الادب من كيروان لبنان » . ثم القى الملازم اول انور نافع

الضابط بالجيش المصري مقطوعة :

رماني الشوق لاهل الذوق رماني   يا ريت يقدر يطاوعني بياني

وكان مطلع زجل الاستاذ عبد السلام خليل :

في مصر بدر منور بنور جميل ، ساطع نور

والاستاذ محمد هاشم سليمان :

يا قلب افرح ادي اللي كنت تستناه   وادي الادب والزجل والفن قول إله

واختتمت الحفلة بانشاد بعض الاغاني القروية الشائعة في جبل لبنان .

اما مؤتمر الزجل العربي فقد عقد في لبنان من ١٧ ايلول ١٩٤٥ الى ٢٢ منه حسب المنهاج التالي :

الإثنين ١٧ ايلول ــ في (سوق الغرب) .

الثلاثاء ١٨ ايلول ــ في لبنان الشمالي : اهدن ، بشري ، حصرون ، الكورة . عقدت الجلسة الاولى في بشري . وقدم الشاعر عمر الزعني حفلة في (دوما) برعاية حميد فرنجية وزير التربية الوطنية .

الاربعاء ١٩ ايلول ــ عقدت الجلسة الثانية في ضهور الشوير .. ومساء اقيمت حفلة برعاية جبرائيل المر وزير الاشغال العامة .

الخميس ٢٠ ايلول ــ عقدت الجلسة الثالثة في زحلة . ومساء اقيمت حفلة برعاية اميل لحود وزير المالية .

الجمعة ٢١ ايلول ــ عقدت الجلسة الرابعة في جزين . ومساء اقيمت حفلة برعاية احمد الاسعد وزير الزراعة والدفاع الوطني .

السبت ٢٢ ايلول ــ عقدت الجلسة الخامسة في بعقلين . وضع اكليل زهر على ضريح رشيد نخله في الباروك . تناولت الوفود طعام الغداء على نبع الباروك بدعوة من امين صندوق جمعية امارة الزجل الشاعر ملحم زهر الدين . مساء اقيمت الحفلة الاخيرة في فندق طانيوس في عاليه برعاية الامير مجيد ارسلان . وفي هذه الحفلة جرى سباق بين شعراء الوفود الى المؤتمر ، ما عدا اللبنانيين ، وكان موضوعه « وصف صيف لبنان » ، وكانت لجنة الحكم مؤلفة من كبار الشعراء والادباء . وقد فاز بالجائزة الاولى الشاعر المصري ابو بثينة محمد عبد المنعم ، وبالجائزة الثانية الشاعر السوري الحمصي شفيق صادق اسعد ، وقد فقدناهما كليهما .

وهكذا فقد زار المؤتمرون اشهر اماكن الاصطياف اللبنانية ، واعجبوا بمناظر لبنان الفتانة ، واتخذوا مقررات في جلساتهم الخمس في سبيل الغاية الرئيسية التي من اجلها عقد المؤتمر وقد تحدثنا عنها باسهاب في سياق الحديث عن ذكريات المؤتمر . وقد منحت الحكومة اللبنانية اعضاء المؤتمر اوسمة سلمت اليهم .

ونتج عن المؤتمر تأسيس (اتحاد الزجل العربي) الذي جعل لبنان مقرا له ، وانتخب كاتب هذا المقال امينا عاما للاتحاد ، كما انتخب الشاعر ابو بثينة محمد عبد المنعم رئيسا لقسم الدعاية والنشر في الاتحاد .

وقبل ان نصل إلى القصيدة الفائزة الاولى في وصف صيف لبنان ننشر هنا القصيدة التي القاها الشاعر الشعبي المصري محمود رمزي نظيم (ابو الوفاء) في منزل كاتب هذا المقال في سوق الغرب يوم ١٧ ايلول ١٩٤٥ في حفلة استقبال وفود المؤتمرين :

تحيه من مصر للبنان   للارز من نخل الاهرام
تحيه يا جنة رضوان   ارض المكارم والاعلام
في كل نظره حسن جديد   في الوادي والسفح الاخضر
الله يبارك فيه ويزيد   في كل يوم اكثر واكثر
لبنان جميل ، لبنان فتان   فيه كل شيء وحي والهام
عاش حر للدنيا لبنان   جنة ينابيع وجدايق
بين الصنوبر والافنان   متهدله من يتذايق
والكرم عناقيد والرمان   والورد جوري في الاكمام
بين الورق جنب الاثمار   بلبل وشحرور بيغني
على غصنو يناجي الازهار   عايش في عشو متهني
والعطر فايح والريحان   يوحي المعاني والاحلام
جنه على بوابها مكتوب   اهلا وسهلا بالزايرين
محبوبه يزورها محبوب   واهل الجمال رايحين جايين
ملايكه في صورة انسان   والمحرومين منها يا حرام
ما احلى الجلوس جنب الميه   عند (الشاغور) و (البردوني)
صور الطبيعه الاصليه   دشرني بها املي عيوني
هواها صحه للابدان   ولي وصفها عجزوا الاقلام
في بلادكم الصخر تفجر   عيون بتجري في الوادي
فيها مصابيح بتنور   (رشيد) و (شحرور الوادي)
في الرحمه ــ والباس الفران   اهل المعاني والالهام
المؤتمر لما دعانا   امير ، قلنالو تكرم
والجمهوريه ترعانا ،   والاجنبي حكمو يحرم
حكومه من اهل الاوطان   والعدل حارسينو الحكام
انا كهل في سن الستين   فن الزجل ما بقاش فني
منين اجيب قلب العشرين   يضحك ويرقص ويغني
منين اجيب قلبي النشوان   بعطفة الثغر البسام
يا زجالين ، الحفل ازدان   بكم ، وفاخر لبناتكم
تغنوا بالشرق ولبنان   وسمعونا الحانكم
السعف في ايديكم فرحان   عمال يترجم سحر كلام
عاش الفاروق عاش الخوري   عاشت بلادنا العربيه
المؤتمر زاد سروري   في ظل راية الحريه
ويوم ما حررتم لبنان   اخدنا ثارنا من الايام

وبوصولنا الى القصيدة الفائزة الآن نورد لمحة عن ناظمها : **ولد الشاعر محمد عبد المنعم (ابو بثينة) سنة ١٩٠٥ في الإسكندرية ، وتلقى العلم في مدارسها الى ان اتم دراسته ، وكان له شغف بالادب منذ حداثته . بدأ حياته الصحافية شاعراً شعبيا لجريدتي (السيف) و (الناس) ،**

ومجلـــة (الفكاهة) في (دار الهــلال) ، و (الراديو والبعكوكة) . له إكثر من عشرة دواوين زجلية مطبوعة ، والكثير من المقطوعات الغنائية التي تذاع مـــن محطات الاذاعة . أسس رابطة الزجالين في مصر . وهذه قصيدته التي فازت بالجائزة الاولى في وصف صيف لبنان في الحفلة الختامية لمؤتمر الزجل العربي ، وقد نظمها بعد ان تمتع المؤتمرون بمشاهدة المصايف اللبنانية الرائعة :

جدي ابو والدي دا حكايتو حكاية جنان   عجوز مكحكح مدغدغ بالبلا وعدمان
من منذ خمسين سنه كان جضرتو عيان   ويقو اهتم ، ولا فيهشي ولا سنه
وكل عشرين سنه يبدلو طقم سنان

راجل غني فمصر يعني في البلد مشهور   وله ضياع واسعه وفلوس في البنوك وقصور
دا غير معاشو لانو كان زمان مامور   وجدي مالهوش وريث بالطبع غير والدي
والجد عايش ، ووالدي مات بقالو زمان

انا الوريث الوحيد للجد واموالو   اصبح من الصبح روح اسال على حالو
ولو يقول آه اقول يا فرحتي مالو ؟   اخد نصيبو من الدنيا ومتشعبط
فيها ، ولي مية سنه غير اللي فات طمعان

يمشي تقول زلحفه عالارض منسابه   وان مد ما توصفوش الا بدبابه
ما اعرفش ليه الموت نسيه لما افتكرنا بيا   ولايمتى يفضل ناسيه في الدنيا متمتع
وهوه راجل كبير يوعى على الطوفان

في يوم مرض قلت دا رح يعمل العمله   وفرشتلو القبـر بالحنه وبالرمله
وبعد يومين لقيتو قام عمل حمله   سالتو : رايح لفين ؟ قال لي انا مسافر
العمر مش بعزقه ... رايح جبل لبنان

إنا قلت عال م السفر بكرا ضروري يموت   او بالقليل رح يجي تعبان ضعيف مسقوت
بصيت لقيت الشهور بعد الشهور تفوت   وتجينا منو الرسايل انو متهني
وانو اصبح هناك بيصارع الشبان

لما مضى الصيف رجع هايل ومتعالي   ووشو احمر ودمو في الخدود صالي
جيت آخدو بالحضن قام عبط على كتافي   خلاني اصرخ ، ويحلف انو بالمره
يشكي الطحال والكبد والكلوه والمصران

ثاني سنه جيت معاه على شان اشوف الحال   وانهم السر في عمرو اللي مد وطال

وكنت فاكر بلادكم دي جبال ورمال   بصيت لقيت نفسي في روضه من الجنه
سرقها لبنان ، ح بلغ عنها رضوان

شفت الجمال والجلال والسحر والنضره   شفت النعيم العظيم والميه والخضره
شفت الشعور شفت نور والبر والقدره   شفت الكرم والشمم فيكم كبار وصغار
شفت القمم والهمم بتصارع الازمان

شفت الصفا والوفا والفضل والهمه   شفت النعم والنغم والنيل والذمه
والعز م الارز بيرفرف على الامه   شفت العجيب م الادب والنخوه والاخلاق
شفت الثمر عالشجر اشكال على الوان

يا حسن (نبع الصفا) يا حسن وديانو   ارغل يهز السما من سحر الحانو
الطير يموت يسمعو يسكن في اغصانو   والوحش لو يسمعو يصبح اليف ولطيف
ويغير الطبع ويسلم على السكان

إدي البيوت عالجبل تشبه ياقوت منثور   والخضر زي الزمرد فوق صدور الحور
ومياه تشوفها تجول تجول حوالين البنور   حليه وهبها الاله للارز من فضلو
والحليه ما تلتقاش الا فوق جمال فتان

يا طالبين الزلال إدي الزلال صافي   ودي نمير الحياة والبلسم الشافي
متع فؤادك بحظ من الحياة وافي   دي ميه ما تلقهاش الا هنا في الصيف
وفي الشتا تلتقيها في (عيون حلوان)

لبنان قيثارة الزمن رنة ينابيعو   العمر كلو بساعه فيه انـا بيعو
نغم سماوي جميل يا حسن ترجيعو   علم جميع الوجود الحب والرحمه
وخلى زهر الربى فوق الربى نشوان

شكيت لخمسين حكيم والشكوى من ميت داء   بالقلب والنفس والاعصاب والامعاء
والكبد والكلوه ، ما لقيت عندهم ترياق   سوء الهضم كنت اشكي ولما جيت لبنان
اصبحت اشكي عشان باكل ويرضو جيعان

في الريف تلاقي النظافه بعيشة الفلاح   وولادو زي الزهور العطر منهم فاح
وخدود من الصحه تشبه حمرة التفاح   وعيون يشوفها المهى يلبسلو نظاره
سودا تداري عيونو م الخجل لا تبان

كل اللوكندات نظيفه وجوها هادي   لا ضجه لا زيطه لا ترامواي ولا منادي
لا تسمع إلا صفير بلبل وطير شادي   عيشه تطيل الاجل وتجدد الاعصاب
خلتني جدي العجوز يخطب تلاتنسوان

لا تقول لي بريمو ولا اكسلسيان ولا فيشي   دي بلاد اجانب وماركتها براطيشي
وانت يا لبنان تعيشو ويا مصرنا تعيشي   لبنان لصيفنا ، ووادي النيل لشتانا
وانت يا راية العرب اعلي فـ كل مكان

هذا ، ونرجو ان يقوم في مصر مـــن يعنى بجمع منظومات الشاعر محمد عبد المنعم ونشرها مضمومـــة بعضها الى بعض وكتابة دراســة مفصلة عن هذا الشاعر الشعبي الكبير وعن زميله الشاعر محمود رمزي نظيم ، وسواهما من الشعراء في مصر وسائر الاقطار العربية . كمـــا نرجـــو ان يتعاطف الشعراء الشعبيون الناظمون بالعاميات العربية في مختلف إقطارهم ويعملوا للاهداف التي من اجلها عقد مؤتمر الزجل العربي في لبنان .

بيروت ـــ ص.ب ٦١١   وليم نجيب صعب

ستكتب قصتي طفلة



— ١ —

الى ابنتي : دانيــه

ستكتب قصتي طفلة ،
تلاعب ، من المجد ، اكليل غاره.....

طفلة صغيرة وحلوة
في عينيها براءة
وملء برديها الوفاء
تغني ، ترقص ، تلهو
تداعب خصلات شعرها
الاشقر ، نسيمات الصباح

وتنهض ، من متاهة الصمت
مفتاح ، فرحة
تسأل عني . تسأل عن اسمي
وتحفر ، على صخرة ، اسما
لم تنسه بعد

ويبكي الليل ، على سواده البهيم
دمعة حداد .
حزينة ، حينا ، وصادقة
وحينا مصطنعة .

وترجح كفة الصدق
بلسان الحقيقة .
ويغفو الكذب
على كتف الانتظار .

وتصحو الصغيرة على رنين المحبة
وتسرق ، من الليل ، سواده
انه ، بين يديها ، طيع
حريري الملمس .

تختصر الزمن ، في لحظة
وتتهجا اسمي .
وتصر على التلفظ به
ولو « مكسرا » ...

غبت غيبة طويلة
وانتظرتني بلا تبرم
وها قد عدت الى المرفا

— ٣ —

لون عينيك
مم تسرقينه ؟

من البحر تسرقين لون عينيك
ويبحر الصمت
في شراع ، على المتوسط .
وتسافر ، في ليل عينيك
بدمعــة .
وانت ، باية حصانة تتشبثين

مع الليل تاتين
ومع الليل تذهبين
ولا يبقى منك
بين يدي ، شيء
الا قصاصة ورق مرمية ومهملة
عليها بصمات شفتيك الدافئتين
وذكــرى .

... تذهبين مع اطياف الليل
ويبكي عليك النهار !
وانا واجم ، ارق ، مسهد
تنتحر ، على شفتي ، الكلمات
وتعلو وجهي الكآبة
ويصلي الحزن !

وانت ، على الضفة الاخرى
تقهقهــين .
واجتر ماساتي
من دون ان تعلمي .
واسر في نفسي
ان كان لي حبيبة
وضاعت
ضاعت في الزحام ...

بيروت — المنارة
شارع كاليفورنيا

عادل الاعور

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

مازحه لا مزح معه

ويقولون : مزح تميم مع وسيم ، يريدون : داعبه ، والصواب هو : مازحه ، كما يقول التهذيب ، والصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : مازحه مزاحا (بكسر الميم) وممازحة : التهذيب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط .

اما مزح تميم مع وسيم فتعني إنهما مزحا معا ، مثل : جلس معه ، وسافر معه (إشتركا في الجلوس والسفر) ، وهي لا تعني الا ان تميما هو المازح ، ولو كان وسيم قد شارك تميما في المزح ، لقلنا انهما تمازحا .

المـزة (بكسر فتضعيف)

ويطلقون على إحدى قرى دمشق ، المشهورة بمتنزهاتها ، اسم المزة (بفتح فتضعيف) ، وعلى مطار دمشق اسم مطار المزة (بفتح فتضعيف) ، وينسبون الى الرجل الساكن في المزة بقولهم : هذا مزي . والصواب : قرية المزة ، ومطار المزة ، وهذا رجل مزي (بكسر ميم المزة فيها جميعا) كما جاء في معجم البلدان ، والقاموس ، والتاج ، وكتاب عثرات اللسان لعبد القادر المغربي .

طعم التفاحة مز (بضم فتضعيف)

ويقولون : طعم هذه التفاحة مز (بكسر الميم او فتحها) ، اي : بين الحامض والحلو ، او هي خليط بينهما .
والصواب : طعمها مز (بضم فتضعيف) : الليث بن سعد ، وابو زيد الانصاري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وعثرات اللسان للشيخ عبد القادر المغربي ، والوسيط .

ويقولون إيضا ان المز (بضم الميم) من اسماء الخمر ، او هي الخمر ذات المزوزة : اللسان ، والقاموس ، واقرب الموارد ، والمتن .

اما كلمة المز (بكسر فتضعيف) فمن معانيها :

(١) القدر والفضل . نقول : هذا له عليك مز : فضل .

(٢) هذا رجل مز ومزيز (بفتح فكسر) ، وامز (بفتح ففتح فتضعيف) : فاضل : اللسان ومستدرك التاج .

ومن معاني المز (بفتح فتضعيف) :

(١) المص (بفتح فتضعيف) . نقول : مزه يمزه (بضم الميم) مزا (بفتح الميم) .

(٢) مز الشراب مزا : صار مزا (طعمه بين الحامض والحلو) .

مـزع الثـوب

ويخطئون من يقول : مزع (بتضعيف الزاي) الولد ثوبه ، ظنا منهم ان استعمال الفعل (مزع) هنا هو استعمال عامي ، ويقولون إن الصواب هو : مزق الولد ثوبه .

ولكـن :

من معاني الفعل مزع (بفتح فتضعيف) : فرق (بفتح فتضعيف) ، فيقال : مزع اللحم والثوب .

ونقول ايضا : مزق الثوب ونحوه ، اي : شقه . والشق هنا تفريق النسج بعضه عن بعض . والتمزيع ان لم يحمل المعنى كله حقيقة ، فانه يحمل بعضه مجازا .

جاء في معجم مقاييس اللغة : « الميم والزاء والعين اصل صحيح ، يدل على قطع وتقطع . والقطعة من اللحم مزعة (بضم فسكون) ، وقد تكسر الميم فيها . وفلان يتمزع من الغيظ ، اي يكاد يتقطع . ومنه مزع الظبي مزعا (بفتح فسكون) : اسرع ، كأنه ينقد من شدة عدوه ، وقد يقال للفرس » .

لذا لا ارى باسا بان نقول :

(أ) مزق اللحم او الثوب .

(ب) مزع اللحم او الثوب .

اما معاني الفعل (مزع) بفتح ففتح ، فمنها :

(١) مزع الفرس ونحوه في عدوه يمزع مزعا : عدا سريعا ، او في خفة .

(٢) مزع القطن : نفشه بأصابعه (يمانية) .

يسكب المزن ماءه ، تسكب المزن ماءها

ويخطئون من يقول : تسكب المزن (بضم فسكون) ماءها ، ويقولون إن الصواب هو : يسكب المزن ماءه ، اعتمادا علـى :

(أ) قول معجم مقاييس اللغة :

(١) المزن : السحاب ، والقطعة مزنة .

(٢) ولعل المزن (هو) الاصل في الباب .

(ب) وقول الراغب الإصفهاني في مفرداته : المزن : السحاب المضيء ، والقطعة (منه) مزنة . ولم يقل : منها.

(ج) وقول اللسان : المزن : (واحدته) مزنة (بضم الميم) ، ولم يقل واحدتها .

(د) وقول التاج : المزن : السحاب ، وقيل (هو) المضيء من السحاب . ولم يقل : هي .

ولكـن :

نقل التاج عن كتاب الاصمعي ان السحاب اسم جنس جمعي ، واحده سحابة ، يذكر ويؤنث ، ويفرد ويجمع .

والمزن كالسحاب واحده مزنة (بضم فسكون) ، وهذا يجيز لنا ان نقول : المزن تسكب ماءها .

والمزنة : المطرة (مختار الصحاح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط) . والمطرة وجمعها مؤنثان تأنيثا مجازيا .

والمزنة هي ايضا : القطعة من المزن (معجم الفاظ القرآن الكريم ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، ومقامتا الحريري الحلوانية والكرجية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط) . والقطعة وجمعاها المؤنث والتكسير ، هي كلمات مؤنثة تأنيثا مجازيا ايضا .

لذا قل :

(ا) تسكب المزن ماءها .

(ب) ويسكب المزن ماءه .

وقد جاء في قصيدتي التي رثيت بها شوقي ، في الحفلة التأبينية ، التي اقيمت له في نابلس في تشرين الثاني ١٩٣٢ :

يلرف المزن دمعه فوق يسم كون المزن ماؤه قبل حين

المسحة (بفتح فسكون)

ذكر مد القاموس ، نقلا عن احدى نسخ لسان العرب ، قوله : ما زالت على وجهها مسحة (بكسر فسكون) من جمال ، اي : اثر ظاهر منه ، كما قال شمر بن حمدويه ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومجاز الاساس ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والوسيط . ولم اعثر على كلمة مسحة (بكسر الميم) في نسخة اللسان التي لدي .

وقال شمر بن حمدويه ، وابن الاثير في النهاية ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومجاز المتن ان المسحة لا تقال الا في المدح .

ولكـن :

قال التهذيب ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط اننا يجوز لنا ان نقول : عليه مسحة من هزال (بضم الهاء) . والهزال ليس مدحا ، ووزن فعال (بضم الفاء) يدل على المرض ، كالسلال ، والسعال ، والكزاز ، والخناق ، والصداع ، والزكام وغيرها من الامراض . وكان العرب الاقدمون يرون الصحة في السمن لا في الهزال ، ويتغنون بالمراة السمينة ، والوركاء (عظيمة الوركين) ، والخدلجة (بفتح ففتح فتضعيف) (اي الممتلئة الذراعين والساقين ، والرداح (عظيمة العجيزة) . ومن شاء الاطلاع على الاوصاف المحمودة في محاسن خلق المراة ، عليه ان يقرا فصلا كاملا عنها في الصفحة ٢٣٠ من « فقه اللغة » للثعالبي ، ليرى ذوق اجدادنا في الجمال ، سامحهم الله .

ويستشهدون على كلمة (مسحة) بقول ذي الرمة :

على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

وينسب هذا البيت ايضا لعمرو بن هذيل اللبدي .

ويستشهدون ايضا بقول الكميت :

خوادم اكفاء عليهن مسحة من العتق ابداها بنان ومحجر

اما حرف الجر الذي يجوز ان يسبق كلمة (المسحة) فهو الباء وعلى ، فنقول :

(ا) بها مسحة من جمال .

(ب) على وجهها مسحة من جمال .

الآدمـي

ويخطئون من يقول ان كلمة (الآدمي) تعني الانسان ، لانهم لم يجدوها في كثير من المعجمات ، ولكنها صحيحة وردت في الحديث وبعض المعاجم .

اما الحديث فهو : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه » .

واما المعجمات فهي : المد ، ودوزي ، وذيل اقرب الموارد ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وقد تأتي الآدمي نسبة الى آدم .

المادبـة (بضم الدال وفتحها وكسرها) ، الادبـة (بضم فسكون)

الوليمة يدعى اليها في عرس ونحوه يخطئون من يسميها مادبة (بكسر الدال) ، ويقولون ان الصواب هو المادبة (بضم الدال) . والحقيقة هي :

(ا) المادبة (بضم الدال) : من حديث ابن مسعود : « القرآن مادبة (بضم الدال) الله في الارض » . وممن ذكر المادبة ايضا : خلف الاحمر ، وابن السكيت (في اصلاح المنطق) و (تهذيب الالفاظ في باب الدعوات) ، وادب الكاتب ، والكامل للمبرد (في الباب ٤٧) ، والتهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمرزوقي (في شرح ديوان الحماسة) ، وفقه اللغة (في باب الاطعمة والاشربة) ، والمحكم ، وابو عبيد البكري ، والاساس ، والنهاية (ضم الدال اعلى) ، والمغرب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج (ضم الدال اعلى) ، والمد ، ومحيط

المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وتذكرة علي . والمعجم الكبير ، والوسيط .

(ب) والمأدبة (بفتح الدال) : خلف الاحمر ، وابن السكيت (في اصلاح المنطق) وتهذيب الالفاظ (في باب الدعوات) ، وادب الكاتب ، والكامل للمبرد في الباب ٤٧ ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وهامش المرزوقي ، والمحكم ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وتذكرة علي ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(ج) والمأدبة (بكسر الدال) : تهذيب الالفاظ لابن السكيت (باب الدعوات) ، وابن جني ، والتاج ، والمد ، والمتن .

(د) والادبة (بضم فسكون) : المحكم ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ويقول التاج ان ضم الدال اشهرها ، وكسرها اضعفها .

وفعله ادب (بفتح الدال) يأدب (بكسرها) ادبا (بفتح فسكون) ، وادبة (بضم فسكون : صنع صنيعا (طعاما) ، ودعا الناس اليه ، فهو آدب ، قال بشار بن برد :

اين الذين تزور كل عشية يأتيك آدبهم ، وان لم تأدب (بكسر الدال)

الادام (بكسر الهمزة)

ويطلقون على ما يساغ به الخبز ، مائعا كان او جامدا ، اسم الادام (بفتح الهمزة) ، والصواب هو : الادام (بكسرها) .

جاء في الحديث : « نعم الادام الخل » . وفي حديث آخر : « سيد ادام اهل الدنيا والآخرة اللحم » . جعل اللحم ادما ، وبعض الفقهاء لا يجعله ادما (بضم فسكون) ، ويقول : لو حلف ان لا يأتدم ، ثم اكل لحما لم يحنث .

وممن ذكروا الادام : الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

ويجمع الادام على ادم (بضم فضم) ، وادم (بضم فسكون) ، وآدام ، وآدمة .

وقد فات المعجم الكبير ذكر الجمع الاخير (الآدمة) ، مع إنه ورد ذكره في المحكم ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن .

ويطلقون على الادام اسم الادم (بضم فسكون) ايضا .

ادت الحرب الهلاك اليهم

ويقولون : شبوا حربا ادت بهم الى الهلاك . والصواب شبوا حربا ادت الهلاك اليهم ، لان جملة « أدى الشيء الى فلان » تعني : سلمه اليه . راجع الآية ٥٨ من سورة النساء . وقال الفرزدق :

حملت الذي لم تحمل الارض، والتي عليها ، فأديت الذي انت حامله

وممن ذكر ان معنى (أدى اليه الشيء) هو (اوصله اليه) : معجم الفاظ القرآن الكريم ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

فحوى الخطاب لا مؤداه

ويقولون : القى فلان خطابا مؤداه كذا وكذا . والصواب : القى خطابا فحواه كذا وكذا ، او خلاصته ، او مضمونه ، لان فحواه تعني مرماه الذي يتجه اليه القائل . اما جمع الفحوى فهو : فحاو وفحاوى .

ولم اعثر على كلمة (المؤدى) في المعجمات الكثيرة التي عندي ، بمعنى الخلاصة او المضمون .

إذن ، إذا

ويخطئون كثيرا في كتابة اذن او اذا ، ولنا ارى راي الفراء ، الذي يقول : ينبغي لمن نصب ب (اذن) الفعل المستقبل (المضارع) ان يكتبها بالنون (إذن) . نحو :

— سأعطيك دينارا إذا سافرت معي .

— اذن أسافر (بفتح الراء) معك .

فاذا توسطت وكانت ملغاة ، كتبت الالف (اذا) . نحو : فلان يعبد النار فهو (اذا) من الضالين .

وقال آخرون : اذا وقف عليها ، وان لم تكن ناصبة ، كتبت بالنون . نحو : فلان يعبد الله فهو من المؤمنين إذن .

والمازني والمبرد يكتبانها نونا ، ويقفان عليها بالنون .

المئذنة ، المؤذنة ، الميذنة

يقول الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه « عثرات الاقلام في اللغة » اننا نستطيع ان نسمي الموضع الذي نرفع صوتنا فيه بالاذان مأذنة ، باعتبار انها اسم مكان .

ولكن اسم المكان على وزن مفعل (بفتح فسكون ففتح) ، لا يصاغ إلا من الثلاثي المجرد . و (المئذنة) مأخوذة من الفعل اذن (بتضعيف الذال) ، وهو مزيد .

ويعثر صاحب محيط المحيط ودوزي ايضا ، فيطلقان عليها اسم المأذنة .

ويقول التاج والمد ان المأذنة من اقوال العامة .

واسم المكان من غير الثلاثي المجرد ، يصاغ على وزن اسم المفعول ، فيكون اسم المكان من اذن (بتضعيف الذال) ، هو : مؤذن ، او مؤذنة ، اذا شئنا ادخال تاء التأنيث عليه.

وقد جاء في المعجمات ان المنارة يؤذن عليها تسمى :

(١) مئذنــة : اللحياني ، وابو زيــد الانصاري ، والتهذيب ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) ومؤذنــة : ابو زيد الانصاري ، والتهذيب ، واللسان ، والتاج ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

(٣) وميئنة (بكسر الميم) : المصباح ، والمد ، واقرب الموارد ، والمعجم الكبير .

وتجمع المئذنة على : مآذن .

الاذان .

ويقولون : آذان الفجر يوقظ النائمين . والصواب : اذان الفجر . . . والاذان هو اعلام المؤذن الناس بان صلاة الفجر قد آن اوانها .

ومن الحديث : « ان قوما اكلوا من شجرة فحمدوا ، فقال النبي (صلعم) قرسوا الماء في الشنان ، وصبوه عليهم فيما بين الاذانين » . اراد بهما اذان الفجر والاقامة . (التقريس : التبريد . الشنان : القرب الخلقان) .

اما الآذان فهي جمع اذن (بضم الذال وتسكينها) عضو السمع ، وهي مؤنثة . قال الفرزدق :

وحتى سمى في سور كل مدينة   مناد ينادي فوقها بالاذان

وجمع شوقي الاذان والآذان في بيت واحد ، فقال :

فلا الاذان اذان في منارته   اذا تعالى ، ولا الآذان آذان

اذن (بضم فذال مضعفة مكسورة) بالعصر

ويقولون : اذن العصر (بتضعيف الذال وضم الراء) . والصواب : اذن (بضم فتضعيف مكسور) بالعصر . وقد نبه الى ذلك ابن بري ، اذ قال : اذن العصر بالبناء للفاعل غلط ، والصواب : اذن بالعصر (بالبناء للمجهول) .

وحذا حذو ابن بري كل من المصباح ، والمد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ومما قاله المصباح : اذن (بتضعيف الذال) المؤذن للصلوات (وليس بالصلوات) : اعلم بها .

وفعله : اذن يؤذن (بتضعيف الذال فيهما) اذانا وتاذينــا .

ومما قاله الراغب الاصفهاني : المؤذن (بتضعيف الذال) : كل من يعلم بشيء نداء . وقال اللسان : روي ان اذان ابراهيم عليه السلام بالحج ان وقف بالمقام ، فنادى : ايها الناس ! اجيبوا الله ، اجيبوا الله ، يا عباد الله ! اطيعوا الله يا عباد الله ! اتقوا الله .

ومن معاني اذن (بتضعيف الذال) :

(١) اذن المؤذن بالصلاة : اعلم بها .

(٢) اذن : رفع صوته بالاذان .

(٣) اكثر الاعلام .

(٤) اذن فلانا : عرك اذنه او نقرها . رده عن الشرب فلم يسقه .

(٥) اذن النعل وغيرها : جعل لها اذنا .

اذنا القلب ، واذيناه ، واذينتاه

التجويفان العلويان اللذان يتلقيان الدم من الاوردة الرئيسة ، فيصبانه في البطينين ، يخطئون من يطلق عليهما اسم الاذينتين ، ويقولون ان الصواب هو : الاذينان (بضم ففتح) ، إعتمادا على ما جاء في الوسيط .

ولكــن :

جاء في الجزء الخامس من مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية بالقاهرة ، ان المجمع اطلق على ذينك التجويفين العلويين اسم : الاذينتين ، وذلــك في دورته الخامسة ، المنعقدة بين ١٨ كانون الاول ١٩٣٧ و ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٨ في الباب A من مصطلحات علم الامراض ، وفي مؤتمري الدورتين الثانية عشرة والثالثة عشرة .

ثم اصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الاولى من حرف الهمزة من المعجم الكبير ، عام ١٩٧٠ ، وايد فيه مجمع فؤاد الاول بذكره الاذينتين ، والمعجم الوسيط بذكره الاذينين ، وزاد اسما ثالثا هو : اذنا القلب . بينما يكتفي قاموس المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، وقاموس حتي الطبي بذكر الاذينة (بضم ففتح) .

وقد يكون الدافع لمجمع فؤاد الاول لاطلاق اسم الاذينتين على تجويفي القلب العلويين ، هو كون الاذن مؤنثة . وعندما نصغرها نضع تاء التأنيث في آخرها ، فتصبح إذينة ، كما اصبحت هند هنيدة ، وجمل (اسم فتاة) جميلة (بضم ففتح) ، ودعد دعيدة ، وعين عيينة ، وارض اريضة .

المأذون له ، المأذون

ويخطئون من يقول : اذن (بكسر الذال) الضابط للجندي بالسفر ، فالجندي مأذون ، ويقولون ان الصواب هو : مأذون له ، لان فعله هو : اذن له في الامر يأذن (بفتح الذال) اذنا (بتسكينها) وإذينا (بكسرها) : اباحه له .

ويخطئون أيضا مــن يسمي موثق عقود الزواج والطلاق مأذونا ، ويقولون ان الصواب هو : المأذون له بتوثيق تلك العقود .

ولكــن :

اجازوا لنا شذوذا ان نقول : المأذون ، على الحذف

ذكريات

قالت اتذكر اسمي وهي تبتسم   فقلت عذري اليك الشيب والهرم
قالت اتنسى التي احببت قلت لها   قـد يبرأ الجرح احيانا ويلتئم
فترجم الدمع ما في الصدر من حصر   كانما كـل جفـن راعف قلـم
حكاية العمر ما نصت مدامعها   هيهات يشفع بعد الساعة الندم

وديع ديب

والايصال (حذف الجار وايصال الفعل) . والاصل : المأذون له .

جاء في المصباح : « اذنت للعبد في التجارة فهو مأذون له ، والفقهاء يحذفون الصلة تخفيفا ، فيقولون : العبد المأذون » .

وقال محيط المحيط واقرب الموارد في مادة « حجر » : وحجر عليه القاضي في ماله : منعه من ان يتصرف فيه ويفسده ، فهو حاجر وذاك محجور عليه . وقولهم : المحجور يفعل كذا : على حذف الصلة ، اي المحجور عليه ، كالمأذون اي المأذون له .

اما موثق عقود الزواج والطلاق ، فقد اطلق عليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة اسم : المأذون ، اذ جاء في قرار لجنة الالفاظ والاساليب التابعة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في مؤتمره في دورته الثالثة والاربعين في آذار ١٩٧٧ ما يأتي :

« يخطىء بعض النقاد استعمال المعاصرين لهاتين الصيغتين ، في مثل قولهم : القضية المشتركة والمأذون الشرعي ، بناء على ان كلا منهما قد اشتق من فعل يتعدى بالحرف ، فيجب اتباع صيغة المفعول فيهما بالجار والمجرور ليقال : المشترك فيها (بفتح الراء) والمأذون له .

درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى اجازة هاتين الصيغتين وما يجري مجراهما ، لان الكلام فيهما على الحذف والايصال ، اي حذف حرف الجر واستتار الضمير في اسم المفعول ، وهو ما اجازه ابن جني في خصائصه ، واستشهد له بقول لبيد « الناطق المبروز والمختوم » اي المبروز به كما قال ابن جني .

ومثله قول بشر بن ابي خازم : « الى غير موثوق من الارض تذهب » اي : موثوق به .

هذا الى ان السماع قد ورد نصا في استعمال لفظ المشترك كما استعمله المعاصرون ، وذلك ما ذكره الاساس من قول زهير :

ما ان يكاد يخليهم لوجهتهم   تخالج الامر ، ان الامر مشترك

واورد الميداني في مجمع الامثال :

يا ذا البجاد الحلكه   والزوجة المشتركه

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة استعمال المشترك والمأذون في المعنى الذي يستعملان فيه لدى المعاصرين .

وبعد سماع المؤتمرين الحجج التي استندت اليها اللجنة ، وافقوا على قرارها المذكور .

وقال المعجم الكبير ان المأذون هو :

(أ) موثق عقود الزواج والطلاق .

(ب) (عند الفقهاء) : من اطلق له التصرف بعد زوال السبب المانع ، كعبد او صبي .

(ج) (في القانون) : القاصر الذي خول ، بعد ان بلغ الرشد ، إدارة شؤونه وامواله .

وذكر الوسيط ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة اطلق كلمة (المأذون) على موثق عقود الزواج والطلاق .

رباط العنق لا الاربة

ويخطئون من يسمي ما يربطه الرجال حول اعناقهم برباط العنق ، ويطلقون على القصير منه اسم الاربة ، والطويل منه اسم الاربة (بضم فسكون) المرسلة .

ومن معاني الاربة : العقدة التي لا تنحل إلا بعناء .

ولما كان العالم العربي كله يعرف (رباط العنق) ؛ وهي تسمية لا غبار عليها لغويا ، ويجهل الاربة — التي قد تكون صحيحة لغويا ايضا — فانني ارى الابقاء على تسمية ذلك الشيء برباط العنق ، واهمال تسميته بالاربة ، إلى ان توافق على استعمالها مجامعنا او إحدها .

محمد العدناني
بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢



هدى اديب

هدى اديب:
اذا بقي الفنان متواضعا يضيع

بقلم ريما الصيان

* * *

تحار من اين تبدأ معها الكلام ، كيفما حدثتها في شؤون الادب والشعر والموسيقى تجد لدى هدى اديب تحليلا موضوعيا مشنوعا بثقة نفسية عالية وعنفوان مميز منحاها حرية الكلمة والحركة والرؤية المستقبلية الصادقة .

اسم نبت من تسميته ليسمي نفسه . هدى اديب ابنة الشاعر البر اديب صاحب مجلة « الاديب » نفضت ريشة والدها لتكتب بأناملها « نوتة » قصيدة حياتها .

على حدود منزلها قرب المحكمة العسكرية وابعد .. عند المتحف تسكن لوحة البوابة — الشارع — الوطن الحزين . البوابة التي تلبس الحداد وتتسلى بزغاريد السيارات في عجقة العبور .

من هذه البوابة تدخل الى عالمها ، من شارع العبور تعبر الى منزل هدى اديب حيث تعيش وترسم حياتها باستقلالية تامة .

تستقبلك بوجه المرأة وجبهة كبريائها المتطاولة على حدود الشمس عبر الحرية . ووسط حميمية المنزل الصغير الدافئ بروح المرأة الفنانة تشعر وكانك مسروق في عالم يحكمه الفن ويسكنه الحالمون .

غرفة الجلوس في عالم هدى هوية ثانية لمثلث الانثى والموسيقى والشعر الذي يرتسم دائرة حياتها .

غرفتها رموز لهدى الشاعرة واستاذة البيانو .. واخيرا .. للمرأة الحلم ، الشعر ، النغم الذي يحملك شراع سفر عبر بحر من الرقة والانوثة والشفافية والانسانية الى حدود .. الانا والكبرياء .

فهدى ان عزفت غابت في الحلم . ولدت فيه وولد فيها كانه الفتنة ترسمه بأناملها على قماشة البيانو . وان تحدثت ، تقرأ الشعر في عينيها وملامح وجهها . وان تعمقت في صراع التناقضات داخلها يخرج الوطن على شفتيها يخرج بجنون الحكمة وثورة الجنون . يصل الى حدود الدمع . ولا تتعجب بعد ذلك ان قرأت في ديوانها « الشارع — الرتم — المدينة » الصادر عام ١٩٧٢ بعضا من رؤى . اذ تقول : « الناس في ازقة — الناس في تربة مفتوحة / الرجل لا يريد ان يُهزم — لا يعرف الخجل / من الموت ابتكر الحرب ... انصتوا استمعوا / العلمة تنحدر صراخا / خنادق تطلق نفحة من كبريت محروق / الجثث لحة من الارض .. رؤوس الاموات تطلع فوق القبور ... الشارع عضو في المستقبل / الرتم المتاه / لن تبقى غير كنائس ومحاكم / منازل تلفها شراشف منسدلة / دليلا على الحداد / ندخل المدينة — ندخل الفك / لزياح كان في الامس للقربان .. في الامس كانوا يجتمعون ليبقى كل منهم منعزلا — منفردا / اليوم يجتمع الناس في المعابد لـن يصلوا / لن يخشعوا / نحن مدانون — نحن متهمون » .

وهدى اديب تمارس الموسيقى والكتابة الشعرية والروائية . من اعمالها « جملة معترضة » بالفرنسية (١٩٦٨) ، « وقفة قلقة » بالفرنسية (١٩٧٠) نالت عليها جائزة سعيد عقل ، « ثلاث مكعبات » بالعربية (١٩٧١) ، الشارع — المدينة .. « سلوك معاكس » بالفرنسية (١٩٧٧) عن دار سان جرمان دي باريه .

سألتها :

— المعروف عنك اذا صح التعبير انك امرأة تفكرين بجسدك وتتصورين بعقلك وتتلمسين الحياة بمخيلتك . فهل لهذه الاسباب علاقة بكونك فنانة شعرا ونثرا وموسيقى ؟

— (تضحك متسائلة) : لماذا يوجه الي هذا السؤال دائما ؟ اشك في ذلك . اعتقد انني كاملة ولا استعمل جسدي قط ، بل روحي واحساسي . في البداية وفي مجموعتي الشعرية الاولى ، كان احساسي مكثفا في اللعبة الشعرية . كان احساسا ولم اهتم اذا كان جسديا او

افلاطونيا . مـا يهمني هو تطور الشعر لجهة التقنية الشـعرية . وكناقدة لنفسي اعتقد انني في كل مجموعة شـعرية اتبع تقنية معينة ومتطورة عن سـابقتها .

— قـد تكون الكلمة في شـعرك صورة او فكرة . ولكنها قبل كل شيء فعل حب مع الكلمة . فما هي علاقتك بالكتابة . وهل هي عشيقتك الاول ؟

— هذه حقيقة . انها بنظري اهم شيء في الحياة . كل ما ياتي بجانب ذلك يفترض ان يكمل شعري ، لانني فضلت التعبير بالكلمات واللغة الشـعرية علـى التعبير بالنغم واللغة الموسيقية . كنت اتمنى ان اكون مؤلفة موسيقى لكنني لم اتوصل الى ذلك لاسباب خارجة عن ارادتي . فعندما اعزف على البيانو ، اعبر عما يقوله الاخرون . انما عندما اكتب الشعر اعبر عن نفسي كليا ، ولا اجدها الا عندما اقرا ما كنت قد كتبت .

— في اي من الاثنين تبرعين اكثر في موسـيقى الشـعر ام في شـعر الموسيقى ؟

— الحياة تمر بظروف معينة ، لا نعرف كيف تتاتى وكيف تتطور نحاول ان نفسرها . وفي الموسيقى كما في الشعر اجد شيئا من الرضا لانني اعمل . يبقى الفرق الوحيد بين الاثنين إنني في الشعر اخلق (بفتح اللام) واخلق (بضمها) .

— اكرر السؤال ربما لانني لم افهم جوابك جيدا . هل هناك فرق بنظرك بين الشعر والموسيقى ؟

— بالنسبة لي ولكتاب عديدين في اوروبا ، لا يوجد فرق بين نثر وشـعر . ففي ايامنا الحاضرة في الشعر كما في الموسيقى ، يسمع الواحد منا بداية نغم ما ولا يعرف كيف سـينتهي . يسمع بداية الجملة ولا يعرف كيف سـتنتهي ايضا . وشعري موسيقى متحررة غير مرتبطة باشكال مطلوبـــة .

والفرق يبقى كبيرا بين الموسيقى والشعر . فاداة الشـعر سـلاح خطر وهي الكلمة . الكلمة التي يستعملها كل الناس . بينما اداة الموسيقى « النوتة » تبقى تجريدية ، لا يمكن ان يحصل عليها الا طالبها . وتبقى للعامة شراع حلم وسفر ؛ من هنا فان « ممتهن » الموسيقى يصعب عليه الحلم لدى سماعها .

اما الشعر فشيء مختلف . هو بمتناول الجميع .. كل انسان في مرحلة من حياته يدعي انه كتب الشعر ، إنما لا يملكه ادعاء كتابة الموسيقى ...

— اشعر وكانك تحملين حزن حلم ضائع ، حلم عدم كتابتك وتاليفك الموسيقى .

— هذا صحيح .. (تقولها باسى والم يرتسم على وجهها الهادىء كما لو انني وضعت اصبعي وسط جرح هدى) . وتتابع بعدما تستعيد انفاسها :

— كم كنت اتمنى ان ادرس الموسيقى بدل تدريسها وسماع العزف الخاطىء مـن التلاميذ . لكنني مضطرة للعمل .. وفي بلد كلبنان حيث لا شيء جميلا سوى الفنان والمنكر ، نرى ان لا احد يدفع الضريبة قدر هؤلاء ، لا احد يساعدهم ، الحكومة لا تفكر بصرف اي مبلغ لمساعدة الابحاث الموسيقية ... وانا هدى اديب عندي اشياء اقولها ولا استطيع حمل السلاح ، او اباحة قتلي . انا لا اتهم هذه الحرب او استمراريتها واترك هذه اللعبة للسياسيين . لذلك سافرت الى فرنسا ، اذ لا يمكنني الاستمرار بالعيش على خط النار .

يراودني هنا مثل على مدى اهتمامنا بالفن . فالسكندر شلفون جدي وضع الحجر الاساسي في الموسيقى العربية . كتب « اوبرا الببايا » ومعجم الموسيقى العربية . اسس اول مجلة موسيقية باللغة العربية « روضة البلابل » ومعهد موسيقى في القاهرة ، والى اليوم لا احد يفكر بكتابة شيء عنه ، او استعادة مخطوطته الموسيقية التي سرقت من المعهد الوطني للموسيقى اثناء الحرب الاخيرة ...

— من الواضح انك تعلنين نفسك شاعرة وهكذا يعرفك الناس بينما هم يجهلون في غالبيتهم نشاطاتك في المجال الموسيقي ، فلماذا تفضلين رفع شعار الشعر على رفع شعار الموسيقى ؟

— ضميري المهني يفرض علي ان اقول انني لست « بيانيست » لان « البيانيست » المؤلف والباحث في الموسيقي كما وليد حوراني . لكنني اعلم انني شاعرة . ولا اقول انني « دالي الشعر » . لكنني اعتقد ان الناس بحاجة لفنان كدالي ، لان الفنان اذا بقي متواضعا يضيع ، انا متاكدة انني شاعرة .

— هل تكتبين بالفرنسية معاكسة لابيك الذي يكتب بالعربيـــة ؟

— لا ونعم .. كتبت بالعربية لاتقرب من والدي . لكن القربى لم تحصل ولو حصلت لكنت قد اكملت . اما كتابتي بالفرنسية فلم تكن ردة الفعل والصحيح ان كتابتي بالعربية حملت هذه الردة .

وفي هذا المجال اكره ان افهم بشكل خاطىء . فالشعر في نظري ليس لغة بل تعبيرا .

— لماذا لم يحصل الاقتراب بينك وبين والدك ؟

— في البداية كنت اتساءل ما اذا كان ابي يقرأ اشعاري . كان يرفض نشرها في مجلته « الاديب » كي لا يقال انه دفع ابنته الى الشعر . وعندما نشر احدى قصائدي كان ذلك تحت ضغط رسائل النقاد الكبار الذين طالبوه بذلك . كنت افكر انه سيساعدني لكنه لم يحب افكاري . والامر عائد اليه .

— وظاهرة كتابة الشعر بالفرنسية بـين المثقفات اللبنانيات كيف تفسرينها ؟

— اعتقد ان الشيء نفسه يحصل بالنسبة للشعر بالعربية . المفروض التفريق بين الشاعر وبين الذي يحب الكتابة . حاليا بالنسبة للغة العربية توصلوا الى تصنيفهم انما المشكلة لا تزال مطروحة بالنسبة للشعر بالفرنسية . والسبب برايي يعود لقلة الصحف بهذه اللغة وقلة موادها . فهم بذلك يتحدثون عن الجميع . ولا يفرقون بين الذي يتطور والذي يتقهقر . كما ان بعض النقاد عندما يطرحون اديبا على انه كبير يبقى كبيرا بنظرهم وان كتب اشياء صغيرة . وهذا يحصل في لبنان على جميع الاصعدة وفي مختلف انحاء العالم .

— واين تضعين نفسك بين الاديبات اللواتي يكتبن الشعر بالفرنسية ؟

— اعتقد انني مختلفة ومتفردة . لا لانني اترفع عنهم انما لانني ابحث . اتطور زمنيا مع شعري . ربما النقاد يعتقدون ان الامر يتطور هكذا مع غيري من الشاعرات لكنني لا احسه بهذا الشكل . وعلى النقاد ان يتنبهوا لهذا الامر ويتصرفوا على اساسه .

— هل يمكن اعطاء مثل على تطورك ؟

— كتاباتي الجديدة . مجموعتي الشعرية « شاهار وشاليم » التي ستصدر قريبا عن دار سان جرمان دي باريه دليل صارخ على تطوري في الموضوع والاسلوب والكتابة وحتى القراءة الشعرية . و « شاهار وشاليم » آلهة سريانية يتمتع كل منهما بالتكامل الجنسي اي ان واحدهما إمراة ورجل في آن واحد . والشعر شيء من جوار يقرا عاموديا وافقيا . وفي كل قراءة رؤية جديدة للمراة — الرجل، والرجل — المراة وللتكامل الكلي البعيد فيما بينهما .

— لماذا عندما اطالع قصائدك اشعر كانك تفعلين الحب مع الكلمة والوطن والقرية والرحيل وكانها جميعها مرادفات للرحيل ؟

— يسعدني ان تشعري بذلك ، وان تحسيه ؛ واتمنى ان يحسه الجميع . اذا لم يستطع الشاعر ان يوصل هذا الاحساس الى قرائه فلا يكون شاعرا . يجب ان نشعر بفعل الحب في اي عمل حتى بالبحث . فالحب موجود عند كل الناس بدرجات ، موجود بمغناطيسية وشفافية معينة تصل الى درجاتها القصوى عند الشعراء واصحاب الرؤيا .

— اتهموك بالهروب الى باريس الا تعتقدين ان الذين ظلوا في الوطن وصمتوا هربوا اكثر من الذين رحلوا ؟

— اعتبرهم هربوا بمعنى انهم انهزموا . اذ عندما عدت التقيت كتابا ومؤلفين مسرحيين وممثلين وفنانين زملاء لي . احسست انهم جفوا فنيا . وكل ما يقولونه ينحصر بالسؤال : لماذا ؟ وما الفائدة من ذلك ؟

— بعضهم عاد ولم يعد ، وبعضهم عاد واكتفى بحضوره الجسدي . والبعض خرج من الحرب منتصرا على الحرب فالى اي جماعة تحاولين الإنتماء ؟

— عرفت الحرب في لبنان بقساوتها . لان موقع بيتي اثر علي كثيرا . لكنني لم اتعود الحرب وسماع الرصاص . قررت الكتابة . لكنني لم اعد اقوى على الاستمرار فيها وسط هذه الاجواء . فكل طلقة رصاص كانت تصور في مخيلتي جثة وبيتا يتهدم . لم اعد افهم . انا اومن بالحب ، بالعطاء الكامل ولم اكن استطيع ترك نفسي عرضة للموت . لذلك تركت بالم كبير وطني الذي احب كي لا اراه مجمرا بالقنابل والحقد .

— بعد كل الذي قلته والذي لم تتجراي على قوله . هل لنا ان نعرف من انت هدى اديب ؟

— انا من هي . وليس ابدا من جاءت من الماضي ، من البعيد ، وبالتاكيد انا من اجهل ومن لا احب ان اعرفها . انا بالتاكيد هي .

— الملفت فيك هو بحثك عن ذاتك اكثر من بحثك عن الشهرة . فلماذا وانت ابنة مؤسس مجلة « الاديب » لم تحاولي ولو مرة الإستفادة من إسم والدك ومجلته ، بينما نرى الكثيرات يتراكضن وراء شهرة تفلت باستمرار من ايديهن ؟

— هذه حقيقة . وكثير من اصدقائي الكتاب والصحفيين يسالونني « لماذا لا نراك ؟ » عندما اغيب يعني انني اعمل ما هو افضل ولا يمكنني الاستمرار بالخروج لان ذلك يقلق عملي . حياتي كلها مستمرة بعملي . وبعض اصدقائي الكتاب يقولون يجب ان نظهر في المقاهي كي لا نغيب عن ذاكرة الناس . انا لست من هؤلاء . ربما اخذت هذا عن والدي الذي ساعد الكثيرين من الادباء ولا احد يعترف له . ربما لاننا نعيش في بلد يصبح الناس فيه صما وعميانا عندما يجب ان يسمعوا ويروا .

وفيما يتعلق بوالدي فانا لا احب ان اصل لان والدي « فلان » .. احب الوصول بنفسي وبفضل امكانياتي . بعض الاغبياء قالوا عندما اصدرت مجموعتي العربية ان والدي كتب اشعاري بالعربية . وانا اجبتهم واجيبهم الآن اننا لا نملك الاسلوب نفسه . لكن هذا يؤكد لي ان الناس عندما يطالعون لا يتكلفون عناء القراءة .

اما القيمة واذا كان عندي قيمة فهي مني ، من ذاتي . اهلي ساهموا في تربيتي ولا اطلب منهم اكثر من ذلك . انا واثقة من نفسي ولست بحاجة لمساعدة ودعم احد .

عن مجلة « الحسناء » بيروت — ريما الصبان

ليتوبيا نفسية

*

اوصوني بالحكمه
والبحث عن النجمه
والرحلة في جوف الارض طويله
والبحث عسير ، وامامي نافذة مقفوله
سفر ، ومسير ، وطريق وعر .. وجبال شاهقه ..
تنبت في الصدر كهوله
ونداء الحكمة يستوقفني دوما ..
(سالم نفسك تسلم من كل رذيله)
يا ارض الحكمه ..
جودي ، ودعيني افتح شباكك ..
فالطلسم ، ما زال يغلق واجهتي ..
وحكيمك تاركني في سكك مجهوله
السقم القاتل .. والظما الموحش ..
يقتتلان على صفحة قلبي ..
ويشداني فوق الطرق الموحوله
يا ارض الحكمة جودي ..
ودعيني اقرا غيماتك ..
فالعمر قصير ..
وشبابي يجتاز فصوله
يا ارض الحكمة بوحي .. واغيضي الماء ..
وضميني ، ضمة مقتدر ..
يحنو بالنور .. على طلاب النور ..
وهاتي ما بالجوف ، لتنتشليني
من ارض معلوله
وخذيني من انفاس مسلوله
يا ارض الحكمه ..
ضميني ضمة قادر
فمحصلتي صفر .. رغم الاموال .. ورغم الاصحاب ..
ورغم الجسد الفارع ..
والخبرات الجمة .. والصوت الهادر
ضميني فالخطوات المتعشات ، انكمشت ..
وانفطرت عن ترحال البحر ..
وعن ترحال البر ..
وتاجك ما زال امامي قطب نافر
ضميني .. وانتشليني من حضن عاقر
شجرت فؤادي بالصبر ..

ولكن .. كيف اجيء بتاج ..
اميرك ايوب النادر ؟
ودعت المتعة .. والياقات البيض ..
واطلقت شعور اللحية ..
بحثا عن نافذة الجائر
وتركت العطر .. ومبهرة العين ..
وانفاس القلب الفاتر
ونسيت قروشي .. مبهورا بندائك ..
(سالم نفسك تسلم) ..
من بحر ثائر يا ارض الحكمة ..
يكفيني من .. نورك لفظ وشعاع
اعطيت اللفظ .. وما زلت شغوفا ..
ابحث في قاع القاع .
ما زلت اقاوم ..
كل ضياع
ارض الحكمة ..
مفتونك ليس .. قصير الباع
فخذيه .. وضميه .. ورديه ..
من النفس المضياع
حين نفحت بانفاسك .. قلبي ..
ادركت تماما ..
اني مقصود .. مطلوب .. محبوب ..
مولود .. فانتعشت روحي ..
وانطلقت من عالمها المتاع
واظنك لن تدخري ..
ما في جوفك من اشعاع
في حضنتك ..
لن اشعر بالحاجة للماديات
ولا بالحاجة للمخلوقات ..
ويكفيني منك ..
غذاء الاقناع
نورك بالنسبة لي ..
نبض حياة ومتاع

بور سعيد

محمد سعد بيومي

مدينة فاس الادريسية

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

* * *

كانت موقعة « فخ » التي وقعت في عهد الخليفة العباسي « الهادي » سنة ١٦٩ هـ بعيدة الاثر في تاريخ العلويين ، فقد هرب بعدها رجلان كانا كالشجا في حلق العباسيين اولهما : يحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي الذي ثار في بلاد الديلم في عهد هارون الرشيد ، وثانيهما : اخوه ادريس ابن عبدالله الذي نجح في اثارة اهالي المغرب الاقصى على العباسيين .

وفي سنة ١٧٢ هـ ، قامت دولة الادارسة على يد المولى ادريس بن عبدالله العلوي الذي سار الى بلاد المغرب الاقصى مع مولاه راشد بن مرشد الزبيدي ، بعد ان بطش العباسيون باهل البيت العلوي في موقعة «فخ» ، وقد ساعدهما على الوصول الى المغرب « الواضح » صاحب بريد مصر الذي كان يبطن العقيدة الشيعية .

تمكن ادريس من الاستقرار في مدينة « وليلى » حيث اكرمه اميرها : اسحاق بن محمد زعيم قبيلة « اوربه » البربرية ، وما لبث ان تنازل له عن الامارة وساعده في الحصول على مبايعة القبائل الاخرى حيث وفدت على ادريس قبائل زناتة وزواغة ومكناسة وغيرها ودخلوا في طاعته مما قوى من شوكته ومد في رقعة بلاده حتى شملت الاراضي التي تقيم فيها قبائل زناتة وغيرها من القبائل المنتشرة من القيروان وتمتد الى المحيط الاطلسي .

والواقع ان اسحاق ، اراد بمساعدته ادريس ان يكسب لقومه اكثر مما خسر ، فهو يامل ان تقام هناك دولة في المغرب يكون له فيها ولاتباعه من البربر نفوذ كبير بعد ان يئسوا من انصاف العرب لهم .

هذا ويمكن تعليل النجاح الذي صادف ادريس ، بانه راجع الى اصطحابه مولاه راشد ، وهو على ما يذكر : « بربري الاصل » ، اسر ابوه في احدى غزوات موسى بن نصير(١) ، هذا الى جانب ما كان عليه ادريس من ذكاء خارق وحسن سياسة ، فنراه يشغل اتباعه حتى يضمن ولاءهم له بالخروج غازيا ، ناشرا الدين الاسلامي في البقاع المجاورة التي لم ينتشر فيها بعد .

وقد خشي « هارون الرشيد » تفاقم خطر ادريس ومحبة الناس له ، حيث وصل الى علمه انه عازم على غزو افريقية ، فعمل على التخلص منه وفكر في ان ينفذ اليه جيشا كثيفا للقضاء عليه ، ولكنه عدل عن ذلك لوعورة الطريق ولبعد الشقة بين بغداد والمغرب ، فاشار عليه يحيى البرمكي بأن يبعث اليه برجل معروف بالدهاء يحتال لاغتياله ، فبعث الرشيد « سليمان بن جرير » المعروف « بالشماخ » وكان من موالي المهدي وزوده بكتاب الى واليه على افريقية فاذن له هذا الوالي باجتياز حدود ولايته والمسير الى المغرب الاقصى حيث التقى بادريس ، وذكر له انه متشيع لآل البيت فاكرمه وقربه اليه ، ثم تحين الشماخ الفرصة لقتل ادريس ، وقد قيل إنه دس له السم في قارورة ملأى بالطيب .

ولما تحقق الشماخ من الغرض الذي اتى من اجله هرب وقدم على ابراهيم بن الاغلب فاخبره بما فعل ، وجاءته الاخبار بعد مقدمه بموت ادريس ، فكتب الاغلب الى الرشيد بذلك ، فولى الشماخ بريد مصر .

ترك ادريس أمة بربرية حاملا منه تدعى « كنزة » ، وكانت في شهرها السابع ، فانتظر اشياعه حتى وضعت بعد موته بشهرين ذكرا اسموه « ادريس » وهو ادريس الثاني مؤسس مدينة « فاس » ، ومدينة فاس تعتبر مركز الحركة العلمية والادبية والاقتصادية منذ نشأتها الى اليوم ، كما كانت مركزا للحركة السياسية الى وقت قريب وقد برز اهلها في ميادين : العلم والصناعة والتجارة والتقت فيها جميع العناصر المتساكنة في المغرب : من بدو وحضر وسكان التخوم السودانية . وقد اسسها ادريس الثاني رحمه الله ليسكنها وخاصته ووجوه دولته ، وربما كان مدفوعا بما اعتدنا ملاحظته عند قيام اي خلافة او دولة اسلامية جديدة ، ان تقدم على بناء عاصمة جديدة ، حتى يكون التجديد عاما شاملا .

خرج ادريس باحثا عن مكان مناسب لاقامة عاصمته، فوقع بصره على جبل فاعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه فامر ببناء العاصمة في سفحه ، وبدأ العمل بسورها، ولكن ما لبث ان انحدر سيل من اعلى الجبل فهدم ما كان قد بناه من السور فاضطر ان يرحل من هذا المكان ، وانتقل الى وادي سبو ، فاعجبه المكان ولكنه خاف كثرة مياهه حتى لا تتكرر الحوادث ، واخيرا ترك امر اختيار عاصمته الجديدة الى وزيره عمير بن مصعب الذي وفق كل التوفيق.

استمر عمير يختبر البقاع حتى انتهى الى العيون التي ينبع منها نهر فاس فلفت نظره كثرة عددها وقد سالت مياهها فسار مع سيل الوادي حتى وصل الى موضع مدينة فاس ، فاعجبه المكان ، اذ هو في وسط منبسط يفصل تلال الساحل عن جبال الاطلس الكبرى وعلى الطريق الرئيسي الذي يعبر هضاب الاطلسي ، وحيث تلتقي اهم طرق مراكش البربرية وحيث يبدا المخرج النهري لهذه الناحية واعني بها نهر سبوا الذي يصب في المحيط الاطلسي والذي يعتبر اكبر انهار مراكش .

نظر عمير الى ما بين الجبلين فاذا غيضة ملتفة الاشجار بهـا خيام من شعر لقبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبني بزغة فرجع الى مولاه واخبره بنتيجة بحثه فتفاءل ادريس باسم مالك هذه الجهة عندما علم انها ملك لقوم من زواغة يعرفون ببني الخير فاشتراها منهم .

ذكر ابن ابي زرع : « إن الإمام ادريس رضي الله عنه لما اعتزم على بنائها ووقف في موضعها يختطها ، مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارى ، وقد نيف على مائة وخمسين سنة كان مترهبا في صومعة قريبة من تلك الجهة، فوقف بادريس وسلم عليه ثم قال له : إيها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين ؟ فقال : اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنى اولادي من بعدي يعبد الله تعالى بها ويتلى بها كتابه وتقام بها حدود . قال : ايها الامير ان لك عندي بشرى قال وما هي ايها الراهب ؟ قال : اخبرني راهب كان قبلي في هذا الدير توفي منذ مائة سنة إنه وجد في كتاب علمه انه كان في هذا الموضع مدينة خربت منذ الف سنة وسبعمائة ، وانه يجددها ويحيي داثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسمى ادريس يكون له شان عظيم ... لا يزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة فقال ادريس : الحمد لله انا ادريس وانا من آل بيت الرسول (صلعم) وانا بانيها إن شاء الله ... فكان ذلك مما قوى من عزم ادريس على بنائها فشرع في حفر اساسها ...(٢) .

ولما تم البناء قيل له : كيف نسميها قال نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها وخربت قبل الاسلام بالف وسبعمائة سنة ، وكان اسمها « ساف » كما إخبرنا بذلك الراهب ، ولكن اقلبوا اسمها الاول وسموها فقلبوه فاتى منه « فاس » فسميت مدينة فاس .

ويرى صاحب الدرر السنية ويشاركه في هذا الجزنائي ان هذا هو احسن ما يمكن ان نعلل به هذه التسمية .

ولكنا نرى إن هـذه الرواية ضعيفة لتعارضها — بتفاصيلها — مع بعض الحقائق المتفق عليها . ولكن الرواية التي يمكن ان تكون اقرب الى الصحة هي ما ذكره ابن ابي زرع في اول حديثه عن هذا الموضوع حيث قال : « لما شرع ادريس في بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منـه لله تعالى رجاء الاجـر والثواب ، فصنع له بعض خدمته « فاسـا » من ذهب وفضة فكان ادريس يمسكه بيده ويبتدىء به الحفر ويختط بـه الاسـاسات للفعلة فكثر عند ذلك ذكر الفاس على السنتهم طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون : هاتوا الفاس ، خذوا الفاس ، إحفروا بالفاس فسميت مدينة فاس لاجل ذلك(٣) .

وقد ذكر ابن ابي زرع روايات اخرى في هذا المجال كلها بعيدة عن التحقيق . وكان تأسيس الامام ادريس لمدينة فاس في يوم الخميس غرة ربيع الاول (١٩٢ هـ — ٨٠٨ م) . اسس عدوة الاندلس منها ثم ادار بها السور .... وبعد سنة اسس عدوة القرويين وانتقل اليها من عدوة الاندلس واخذ في بناء جامع الشرفاء واقام فيه الخطبة . وكان سكان عدوة الاندلس ينتحلون — في معظمهم — الحراثة والفلاحة ، بينما سكان عدوة القرويون كانـوا ينتحلون — في معظمهم الصناعة والتجارة .

وقد اجتمع في مدينة فاس علم القيروان وعلم قرطبة اذ كانت قرطبة حاضرة الاندلس ، كمـا كانت القيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب امر القيروان بعبث العرب واضطرب امر قرطبة باختلاف بني امية رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة ، فنزل اكثرهم مدينة فاس .

ولعل اتخاذ فاس شكل المدينة الاسلامية يرجع لهؤلاء القوم ، ولقـد سميت احدى العدوتين بالقرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها (وهي نسبة صحتها القيروانيين ، ولكـن رئي التخفيف مـن الياء فاصبحت القرويين) ، وكانوا ثلاثمائة اهل بيت ، وسميت الاخرى عدوة الاندلس لنزول العرب الوافدين من الاندلس بهـا وكانوا اربعة آلاف اهل بيت ، وقيل انهم كانوا ثمانمائة آلاف اهل بيت .

ولما تم بناء المدينة وحضرت الجمعة ، صعد ادريس المنبر وخطب الناس ثم رفع يده في آخر خطبته وقال : اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما اردت ببنائها ان تعبد فيها ويتلى فيها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك (صلعم) ما ابقيت الدنيا ... اللهم وفق سكانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤنة اعدائهم وادر عليهم الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق انك على كل شيء قدير ، فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت البركات فكان الزرع فيها في ايام ادريس وذريته لا يباع ولا يشترى لكثرته دام ذلك خمسين سنة .

وكان ادريس قد اتبع خطة حكيمة لتعمير عاصمته الجديدة ، حيث نادى : بأن كل من بنى موضعا او اغترسه قبل بناء السور فهوله هبة الله فتبارى الناس في ذلك ، واكثروا من العمارة . وتنوعوا في الغرس حتى اصبحت المحاصيل وفيرة ، رخيصة الاسعار ممـا ساعد علـى إزدياد عمرانها .

ولقد بنى فيها الكثير من الحمامات والفنادق وزيدت مساجد كثيرة ونقلت الخطبة من جامع الشرفاء الذي بناه ادريس لصغره ، واقيمت بجامع القرويين لسعته ، وبلغت مدينة فاس في إيام المرابطين والموحدين من بعدهم مـن العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب حيث شيدت فيها القصور والمدارس التي تؤوي الطلاب الذين كانوا يؤمون جامعة القرويين ، واستمرت فاس في اتساع وازدهار ، لا سيما وقد اصبحت عاصمة شمال افريقية الثقافية والروحية وجوهرة عقد الحضارة الاسلامية بفضل

عيد الام

محمد شمس الدين

طرابلس — لبنان

يـا عيدها ... في الموسم الاخضر
عانـق شـذا الليمون والعنبـر
واحمل لها الاشواق
مـن اعمق الاعماق
انشـودة اشواقهـا اكثـر

يـا ما احيلاها !... على المهد
والريـح تعصـف ليلـة البـرد
تحنـو ولا اجمـل
ترغـى ولا اكمـل
للمرتجى ... مـا هم ان تسهر

لـم روعـت في رحلـة العمـر
لـم دمـرت ... في الربـا الشر
احلامها ... الدنيا
والنجمـة العليـا
تهـدى الـى محبوبها الاصغـر

في عيدهـا ... تحلـو حكاياتنـا
هل تنتهي ؟ ... والحب نجوانا
يـا نفحة الذكرى
انشدتـك الشعـرا
للمتـه ... مـن عيدك الاخضر

القرويين ، وقد وصلت فاس الى اوج عزها في عصر بني مرين وبلغ سكانها الف نسمة(٤) .

وتتجلى في مدينة فاس روعة الفن المغربي الاندلسي في هندسة القصور والحدائق والمتنزهات كما تتجلى في الفنون والصنائع التي اشتهر بها الكثير من سكانها . وقد عرف المغرب لهذه المدينة دورها الفذ في حماية الشخصية القومية واستبسالها في النضال عن مقومات الوجود المعنوي للامة والحفاظ على تراثها الحضاري والفكري .

وفاس تعرف لجامعة القرويين تاريخها المجيد الذي جعل منها احدى حواضر الاسلام الكبرى واليها كانت رحلة العلماء والطلاب من مشرق ومغرب خاصة بعد سقوط بغداد ، فقد انتقل اليها علمهم ليجد فيها البيئة الصالحة والمقام الكريم حتى اتى خير اكله فكان يقال : « ان العلم قمح نبت بالمدينة وصفى ببغداد وطحن بالقيروان وغربل بقرطبة واكل بفاس » وفي مرحلة الاثمار هذه لم يكن طالب علم ليستغنى عن عطاء فاس وهو يسمع الكلمة الذائعة : « ان جبت افقا افقا وطوفت شرقا وغربا ولم تر فاس : فلم تر الارض حقا » .

ثم كانت محنة الشام ومصر بالصليبيين والتتر ، ومحنة الاندلس بالضياع هي التي ندبت فاس لتلقى هجرة الاسلام اليها ، دينا ودولة ، حضارة وتراثا ، فبقي المنار مضيئا لا ينطفىء في القرن الثامن الهجري . على ان رسالة فاس الكبرى لم تقتصر على استقبال وفود العلماء والطلاب من شتى الاقطار وعلى مر الاجيال ، وانما ظلت لمدى قرون تزود بلدان افريقية والمشرق بالعلماء من مشايخ القرويين ومن رحل اليهم وتلقى عنهم ثم في وقوفها في مهب الاعصار الاستعماري صامدة تتحدى ذرائع المسخ والتشويه والاهدار ، وحصنا منيعا للشخصية المغربية الاسلامية .

---

(١) — السيد محمد السنوسي الادريسي : الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية .

(٢) — ابن ابي زرع : الانيس المطرب : القرطاس : ج ١ ص ٤٨ ، ٤٩

(٣) — نفس المصدر : ج ١ ص ٦١

(٤) — المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب : ص ٢٦٠—٢٦١ ط لندن سنة ١٨٨١

احمد البهي الحفناوي
جامعة المنوفية — مصر
شبين الكوم — قسم التاريخ

نظرات نقدية
حول ديوان حصاد الدمع

بقلم محمد ابراهيم شادي

* * *

ما احوج النقد الادبي في ايامنا الى نقد يوجهه ويرشده يخط له الطريق ويضع المبادىء والاسس التي يلتزم بها ولا يحيد عنها حتى يضمن لذاته الموضوعية والانصاف والبعد عن التمويه والاسراف في النيل او المجاملة ، فسلامة النقد ضرورة لسلامة النهضة الادبية التي يواكبها .

والاحساس بهذا قد تعمق عندما قرات مقالا في مجلة الثقافة عدد (٧٥) بعنوان « محمد رجب البيومي في رثاء زوجته » للاستاذ عبد الغني احمد ناجي ، وقد لفتني حرص الناقد ان يبني مقاله النقدي على اساس جانب واحد من جوانب التجربة هو الجانب الشعوري وحجته : ان الناحية الشعورية على راس المقومات الفنية للشعر الذي يستحق وسم الروعة والامتياز .

وهذا حق لكن القيمة الشعورية اهون شيء في التجربة من حيث المراجعة النقدية ، لان الناقد يعرف ابتداء موضوع الشاعر وتجربته فيسهل عليه ان يضرب على الوتر الذي ضرب عليه الشاعر بتقمص تجربته ، ونثر بعض ابياته ، وهي طريقة يتعسر معها النقد لقيامه على جناح واحد من جناحي التجربة ، فان العمل الادبي والشعر خاصة وحدة مؤلفة من الشعور والتعبير .

وعندما قال ابن سلام الجمحي م ٢٣٢ هـ « للشعر صناعة يعرفها اهل العلم بها كسائر الصناعات » كان يهدف الى الدربة والممارسة على الجانب التعبيري من الشعر ، وما التعبير الشعري سوى وسيلة لافراغ شحنة من المشاعر من خلال تجارب متنوعة ، ومع ان الشعور هو المحرك للتعبير : الا اننا لا نقف على الشعور الا من خلال سمات معينة في الاسلوب بما ينطوي عليه من فكرة وعبارة وصورة وعاطفة ، وعلى ذلك فان بناء حكم نقدي على اساس القيمة الشعورية في التجربة غير كاف ، واي نقد ذلك الذي يهمل الجانب التعبيري من التجربة الفنية بما ينطوي عليه من سمات شتى في الصورة والصياغة والايقاع ؟ !

واشارة الناقد الموجزة للتعبير لا تنهض بما يتطلبه النقد الادبي فهو يقول ص ٩١ من مجلة الثقافة « الذي يستطيع التعبير الفني تعبيرا يسير في مواكب الاجناس الادبية انما هو الاديب شاعرا كان او روائيا او قصاصا فهو الذي يجمع بين لهيب التجربة وملكة التعبير ، اما غيره وان كان يعيش في لهيب التجربة فتنقصه ادوات التعبير الفني » ومن الواضح تحفظه في عدم تجاوز مجرد « التعبير » و « ملكة التعبير » الى مجال الجودة والروعة بما يتناسب مع لهيب التجربة وهذا يشي بشيء يصرح به في قوله ص ٩١ « وهو وان عبر عن صدق تجربة فانه يعبر بما يستطيع ولكن تعبيره لا يتسم بسمات العمل الفني الذي يخلد على الزمن » ونحن نحترم للناقد رأيه لكن على الا يطلقه هكذا دون بحث موضوعي لمقومات التعبير في التجربة ومدى ملاءمتها للشعور الذي افاض في تناوله .

وديوان الدكتور محمد رجب البيومي يتميز بانه اقرب الى ان يكون صورة كلية مكتملة لتجربة واحدة بحيث تشكل قصائده صورا جزئية او مواقف متعددة تسلم دائما الى الحديث عن زوجه الراحلة ، فظلها لا يفارقه وهذه مشيئته ورغبته في الا تغيب عنه :

لا تغيب ايها المحيا الجميل　　ان حزني عليك مر ثقيل

فانه يسترحم المحيا الجميل ذاته الا يغيب عنه دون ان يسترحم خياله او ذكراه لانه يستبعد ان يكون نور ذاك المحيا زال :

لذاك الجبين الطلق يطفا نوره　　وكان يشع الحسن في عالم الانس

فان تعلقه الشديد بها جعله لا يصدق احيانا رحيلها عنه ، لكنه يرتد لواقعه ويستسلم لليأس من عودتها فيقول من قصيدة « لا تغب » :(١)

زورق يمخر العباب وظني　　ان مسراه في النوى سيطول
قد سألنا ايان يرسو فقالوا　　ان مرساه شاطىء مجهول

والم الوداع يعتصره اذ يصور الوداع بزورق يمخر العباب ، على ان تسليمه بالرحيل الابدي مشوب بالظن « وظني ان مسراه ... » ومعاودة الامل مع الحيرة « قد سألنا ايان يرسو » لكن الاجابة مخيبة للظن « فقالوا : ان مرساه شاطىء مجهول » فيسلم مرة اخرى لليأس من العودة فيقول :

سفن البين تستقل بلحبا بي　　الى حيث لا يتاح القفول

ومرة اخرى يعود الى الشك والحيرة والتساؤل الذي ينطوي على امل العودة :

اين ولت ؟ متى تعود ؟ خفايا　　مبهمات ترخى عليها السدول

انه التعلق الشديد الذي جعله يتأرجح بين الامل واليأس .

فالتجربة في القصائد مكتملة ، والشعور فيها متصل متآزر والتعبير عنه متلائم متناغم فنجد تردد الاستفهام والتعجب والاستبعاد .

ومن الاحاسيس المسيطرة التي لا تنفك تطل من خلال المواقف المتعددة بما يدل على اتصالها ، الاحساس بشمول

---

(١) ـ ص ٧٢ بديوان حصاد الدمع : والقصيدة منشورة في مجلة الاديب عدد يونيو ١٩٧٢

المصاب وانه لم يخصها ، ويبدأ احساسه بالتساؤل :

لم التاع باكيا التفني   ام لها ؟ تلك حيرة لا تحول

تتردد هنا صيغة الاستفهام ثلاث مرات لتشيع في البيت جو الحيرة التي تكشف عن نفسها « تلك حيرة ... » وفي موقف آخر يصرح باحساسه مجيبا على تساؤله السابق : (٢)

وابصر ريحا زعزعا عصفت به   وبي فكلانا في العراء حصيد

ولفظة « زعزع او عصفت » تتحرك بالريح في عنف حتى يكاد من يكرر نطقها إن يغشيه الخوف من تلك الرياح لاحساسه إحساسا قويا بتحركها نحوه .. انه الصدق في الشعور الذي تستجيب له ملكة التصوير والتعبير لتبرزه ابرازا قويا ، ثم انظر كيف كانت قوة هذه الرياح حتى انها تركت كليهما في العراء حصيدا .

بل ان في تناول الاستاذ الناقد للتيمة الشعورية في ديوان الدكتور محمد رجب البيومي ما يدل على ان مواقفه في قصائده المتعددة اقترب الى ان تكون صورا جزئية لصورة كلية لتجربة مكتملة .

وموقف من هذه المواقف يكفي في التبصر بالقيم الفنية شعورية وتعبيرية ولتكن قصيدته « ديار الصامتين » وهي عبارة عن صورة يفتتحها بما ينم عن تجربته واحاسيسه السائدة في سائر القصيدة : (٣)

شهدت ديار الصامتين فهاجني   سكون بدنيا الصامتين مهيب

مقابر خرساء اللسان نواطق   بابلغ ما يعزي الحشا ويذيب

فنحن نلمس انه قد طوى احداثا سبقت زيارته قبر زوجه الراحلة ، ونلمس وحشته وخشوعه في ديار الصامتين ، مع ما ينطوي عليه هذا المطلع من ظلال تشي بما تبعها من صور ، كالرهبة من الموقف والفزع من الصمت :.

فضاء ثقيل الضغط يهوي كصخرة   تؤودك منهارا وانت صليب

فضاء مخوف الصمت حتى كانه   وحوش بادغال عليك تلوب

فالتأمل :

هنا الحي ميت اذ يرى كيف ينتهي   فليس له فوق التراب دبيب

هنا الميت حي اذ يثير لواعجا   لها هجمات في الحشا ووثوب

فالحيرة والتساؤل :

فكيف يعيش الميت فيها كأمسه   ويسال عن اعماله فيجيب

فالذهول والغموض والبحث عن الحقيقة دون جدوى :

أخال امورا كالضباب تكاثفت   ومن لي ان تجلى وهن غيوب

اعمري لقد حاولت سبحا بزاخر   تلاطم فيه الموج وهو غضوب

يدوي به الاعصار ارعن هائجا   وقد آزرته شمال وجنوب

اريد اجتلاء الشط كيما يمدني   بعزم وشط التائهين جنيب

ولو ان قوله :

شهدت ديار الصامتين ولم ازل   اروح كعهدي بينها واجوب

كان هو النهاية لكفى في بلوغ الصورة قمة النمو والاكتمال ، ولكن عاطفة الشوق والحنين تأبى عليه الا ان يستطرد مع زوجه الراحلة بين الثرى استطرادا يعد تفصيلا لا تاباه الصورة .

فالشاعر يفيق من ذهوله ليرى قبر زوجه الساجية فيجهش في وجوم ووجيب وارتعاد :

ارى قبرك الساجي فاجهش واجما   وقد ملكتني رعدة ووجيب

ويبث الطبيعة حزنه فيبكي معه الفجر بدموع هي الندى ويشحب لون القمر :

وليس ندى ما ينضح الفجر فوقه   ولكنه دمع عليك صبيب

يطالعه بدر السموات صامتا   فتظهر فيه جهمة وشحوب

وكانت بينها وبين بيض الرباب صلة ، فما ان اجتمعت حتى تذكرت ، فتجاهشت حزنا عليها وحنينا لها ، فليس ما تسكبه مطرا ولكن دمعا :

اذا اجتمعت بيض الرباب تجاهشت   حنينا فانداء الرباب سكوب

ويتبين من هذه التجربة مدى صدق الشعور وخصوصيته ومدى عمقه وشموله وتدرجه في النمو والتصاعد ، فالرهبة والتحير والتامل والذهول واليقظة والبكاء مع الطبيعة ، كلها مشاعر صادقة نبعت من الطواف بديار الصامتين ، وهي مشاعر انسانية لا تخص تلك التجربة ولكنها ممكنة في حالات وتجارب مماثلة لآخرين ، وقد تدرجت وتصاعدت تدرجا وتصاعدا ينم على قلق نفسي وشبوب عاطفي .

ويأتي الجانب التعبيري متناغما مع هذا الجانب الشعوري ، وقد هيأ الشاعر لالفاظه نظاما ونسقا وجوا خاصا يسمح لها بان تشع اقوى شحنة من الصور والظلال والايقاع .

ففي البيت الاول :

شهدت ديار الصامتين فهاجني   سكون بدنيا الصامتين مهيب

نجد الالفاظ « الصامتين ، سكون ، الصامتين ، مهيب » تشيع جوا من الصمت المخيف زائدا على المدلول اللغوي لهذه الكلمات ، وفي تعقيب « هاجني » بالفاء بعد المشاهدة ما يوحي بتاجج العاطفة واستجابتها السريعة لادنى مثير فضلا عن كون هذا المثير المهيج هو الصمت المهيب ، بل ان في الرمز للقبور بديار الصامتين : قرن القبور بأخص اوصافها الباعثة على الوحشة والرهبة .

وتتوزع مقاطع البيت بين الطويلة المفتوحة والقصيرة مع غلبة وسيطرة الطويلة بما ينسجم مع بحر الطويل :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فالايقاع الداخلي والخارجي يتجاوبان بما يعطي نغما بطيئا مستغرقا متناسبا كل التناسب مع جو الصمت الرهيب الذي تشيعه الفاظ البيت بنسقها المخصوص ، والشاعر ينتقل من الرمز للقبور الى التصريح بها مصورة بانسان حي لكنه اخرس ، وهذا يتناسب تماما مع المقابلة بالوصف « نواطق » :

مقابر خرساء اللسان نواطق   بابلغ ما يفري الحشا ويذيب

(٢) — ص ١٠٠ من الديوان : من قصيدة في مأتم الشوق .

(٣) — ص ٦٢ قصيدة ديار الصامتين من ديوان حصاد الدمع والقصيدة منشورة عدد اكتوبر سنة ١٩٧٤ من مجلة الاديب .

حديثها

اللفظ من فيها نغم لا ان تقلها او نعم
ياما الـذ حديثها فحديثها شم وضم
كلماتها بسماتها لله ما احلاه فم
في كل لفظ من مراشفها ومنطقها نعم
لله نياك اللمى المعسول غرد او بغم
تجلو بمنطقها عن القلب الكآبة والسأم
وتعيد احلام الشباب رؤى وتشعلها ضرم
فيرق في قلبي الهوى ويرف في روحي النسم
ويضيء ملء جوانحي نورا وتنجاب الظلم
ردي الحديث فانه ري الفؤاد اذا اضطرم
رديه الفاظا مرقرقة كانفاس الديم
في كل حرف منه اغنية مموسقة النغم
تتكلثم(١) الهمسات والنبرات اظهر او دغم
ويعوم قلبي في صداه كزورق في وسط يم

(١) — تتكلثم مشتق من اسم ام كلثوم .

جازان — السعودية . محمد علي السنوسي

اما قوله :

هنا الحي ميت اذ يرى كيف ينتهي فليس لـه فوق التراب دبيب
هنا الميت حي اذ يثير لواعجا لهـا هجمات في الحشا ووثوب .

فتطوير في التصوير ، يساير التطوير في الشعور ، فمن عجب ان يكون الحي ميتا والميت حيا في ديار الصامتين ، لكن الشاعر يتبع كل صورة بما يفسرها من وجهة نظر تأملية عميقة لا تغشى الا من اطال الوقوف بين القبور ، انها روعة الصدق التي تذكرنا بمواقف الشعراء القدامى التي لم تعرف التزوير ، والمقابلة بارزة في التصوير لكنها المقابلة المثيرة الموحية بالمفارقات العجيبة في نفس الشاعر وهي نابعة من احساس التبدل والتغير ما بين ماضيه وحاضره .

والشاعر يصور غياب الحقيقة عنه واستغراق الاوهام له :

اخال امورا كالضباب تكاثفت ومن لي ان تجلى وهن غيوب

بما يتجاوز الحزن وسكب الدمع الى تلك الحالة الذاهلة التي ادت به الى اختلاط الامور عليه وغياب الحقيقة عنه .. هنا يبلغ القمة في تصوير الشعور فيعود الى البداية :

شهدت ديار الصامتين ولم ازل اروح كهندي بينها واجوب

ولم أعرف شاعرا بث الطبيعة حزنه فاجاد التصوير كما اجاد شاعرنا إذ قال :

اذا اجتمعت بيض الرباب تجاهشت حنينا فانداء الرباب سكوب

فمن الطبيعي ان تمطر الرباب اذا تكاثفت واجتمعت ؛ وخيال الشاعر الوثاب يستغل هذه الظاهرة فيجعل من بيض الرباب وكأنها صديقات لزوجه الراحلة قد انعقدت بينهما صلة فما ان اجتمعت بيض الرباب بعد الرحيل حتى ذكرت بعضهن بعضا فتجاهشت .

وصيغة تجاهشت توحي بحرارة دمع هذه الرباب وتصاعد بكائها على ما فيه من تفاعل واندماج . فما نراه من ماء يسقط سكوب دمع لا هطول مطر .

ان الملكة التصويرية والقدرة التعبيرية قد استجابت لصدق وقوة الشعور فجاءت صورة رائعة مؤثرة .

انها تجربة انسانية حقا تذكرنا بتجارب الشعراء الافذاذ والتي خلدت على مر الزمن كطاغور والخيام والمعري .. ، تصور تلك التجربة عالم الشاعر في مشاعر ومشاهد جزئية تنتهي الى عوالم شعورية نابضة متناغمة منسجمة مع ادواتها التصويرية .

المنصورة — كلية اللغة العربية محمد ابراهيم شادي

ريادة الشعر الملحمي العربي

بين عبد المسيح الانطاكي

وبولس سلامة

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

كانت دراسة الاستاذ الشاعر الاخ الكاتب فوزي العطوي في (الاديب) (نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩) عن الشاعر الملحمي المرحوم بولس سلامة قد صورت مكانة الشاعر الفقيد، ومجال عبقريته في ميدان الشعر العربي الحديث، وطنية، وجزالة، وشاريخا، وفنا، ونفسا عاليا.

فهو الذي قد صور ماساة سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام لاول مرة في ملحمة طويلة هي ملحمة (عيد الغدير)، وهو الذي صور بطولات رجال الجزيرة العربية في شخصية الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم في (عيد الرياض).

ولقد كان لي يوم اصداره (عيد الغدير) شرف المساهمة في تكريمه وزيارته في داره، مع نخبة من ادباء بيروت يومذاك، وهو مسمر في سريره، رحمة الله عليه. وقد اقامت له (الكلية العاملية) في بيروت يومها احتفالا كبيرا كانت دراستي عنه بعنوان (الشاعر نبي العصر : والشعر رسالته) وقد نشرتها مجلة (العرفان) اللبنانية في المجلد ٣٦ سنة ١٩٤٩ في الجزء الثامن صفحة ٨١٧ : ثم نشرت في كتاب مستقل عن تكريم الشاعر الفقيد. واستمرت الصلة الاخوية بيننا سنوات، حتى شرقت : وغربت، ورجعت لوطني العراق، ولكني لم انس الشاعر الكبير بولس سلامة، ولم اغفل مقامه، وطيب ذكره، وغزارة نفسه الشعري، في مجالس الادب، ورياض الشعر.

وعندما هب الاستاذ (العطوي) يعيد صفحات الماضي القريب، بينه وبين استاذه الروحي الشاعر بولس سلامة ؛ استوقف نظري قوله : « بان لبولس سلامة فضل الريادة في الشعر الملحمي العربي » .

ولست هنا بالناكر لعبقرية الشاعر : ولا بالجاحد لفضله، ولا بالمستكثر عليه ذلك، ولكني هنا انقل حقيقة تاريخية، وهي ان رواد الشعر الملحمي انما كان اولهم سليمان البستاني في ترجمته لالياذة هوميروس : التي بلغت احد عشر الف بيت وقد نشرها بمصر سنة ١٩٠٤ .

وجاء رجل آخر قد طوت صفحته الايام وتناساه قومه يوناني الاصل عربي اللسان من اهل (حلب) وهو الشاعر عبد المسيح الانطاكي (١٨٧٤ — ١٩٢٣) والذي ولد في (الشهباء) وتوفي في القاهرة ومن تلامذة الوطني العربي الشهير السيد عبدالرحمن الكواكبي .

و (الانطاكي) صاحب مجلة (العمران) والدرر الحسان، وديوان عرف الخزام وناظم ملحمة (القصيدة العلوية المباركة) . وهي قد بلغت نحو ستة آلاف بيت من الشعر بقافية واحدة، وبحر واحد، واستعرض فيها تاريخ الاسلام والامة العربية، وعدد فيها مناقب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وسيرة الخلفاء الراشدين ورفعها الى مقام امير عربستان في المحمرة الشيخ خزعل خان . ذلك الامير العربي صاحب المجالس الادبية والذي اتصل به في عصره كبار شعراء العراق وغيرهم ومدحوه بقصائدهم ولنا دراسة مفصلة عن المجالس الادبية في ايامه، وعصره .

ان هناك بعض الملاحم الشعرية التي نظمها اصحابها في الوطن العربي والمهجر منها على سبيل المثال :

١ — المواكب — لجبران خليل جبران .
٢ — بساط الريح — لفوزي المعلوف .
٣ — معلقة الارز — لنعمة قازان .
٤ — عبقر — لشفيق المعلوف .
٥ — الملحمة العربية — للدكتور زكي المحاسني .

وكلها تحمل فكرة فلسفية، او ادبية، او وجدانية، او تاريخية، او وطنية . غير انها تختلف بيانا، واسلوبا، وخيالا، ولغة .

وفي العراق اليوم ينظم الشاعر النجفي المعروف الاستاذ الشيخ (عبد المنعم الفرطوسي) ملحمة شعرية تعدت ابياتها الف بيت، وهي في وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته عليهم السلام .

ان الشاعرين (عبد المسيح الانطاكي) و (بولس سلامة) (١٩٠٢ — ١٩٧٩)، وان اختلفا نهجا في النظم، فانهما اتفقا مسلكا في الهدف . ولست هنا في معرض المقارنة والدراسة لملحمة كل واحد من هذين الشاعرين، فذاك له وقت آخر، وله مناسبة ثانية .

ان اول من ترجم ومجد ملحمة (الانطاكي) هو المرحوم الكاتب الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة (الحديث) الحلبية . قال في محاضراته عن الحركة الادبية في حلب ما بين ١٨٠٠ — ١٩٥٠، ص ١٩١ « قد وضع الانطاكي، اكبر قصيدة تصف خصائص الاسلام، فقد وضع ملحمة شعرية في ستة آلاف بيت سماها القصيدة العلوية المباركة، تناولت تاريخ الامام علي وما جرى له مع الخلفاء الراشدين » .

وواصل كلامه قائلا « وهـي اولى القصائد التي ظهرت في الشعر العربي فكانت نسجا وحده ، لاني ما عرفت قصيدة عربية مثلها ، تناولت تاريخا ، او قصة ، نجابت من اولها الى آخرها بقافية واحدة ، ووزن واحد ، كما انها اطول قصيدة في لغة العرب على الاطلاق » .

ومن نماذج هذه الملحمة قال الشاعر (الإنطاكي) في وصف العرب ومكارمهم :

سـر في الاعارب وانزل في مغانيها
واشهر مكـارم باديهـا وقاريهـا

ومنهـا :

وامة خـير مـا تسمى بـه عرب
إن رام تمجيدهـا يومـا مسميهـا

ولنفس حـرة مـا استعبدت وليت
ان تستـذل لغـير الله باريهـا

وهمـة تطلـب العليـا وتطلبهـا
مـا الدهـر يقعدها عنهـا ويثنيها

مـا انبتت شجرا مـا اثمرت ثمرا
لكـن عقـولا تناهت في تساميهـا

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٢٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبـي	٥ دراهم
قطـر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٢٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمـن	٥ ريالات
عـدن	٥٠٠ فلس
مصـر	٢٠٠ مليم
ليبيـا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

هـي الجزيـرة لا ارض تحاكيهـا
ان كان مجـد الاراضي في اهاليها

ومنهـا :

امـا شمائلها الغـر التـي بلغت
بهـا الفخار فليس العـد يحصيها

فمـن مكارم اخـلاق الـى كـرم
الـى نفوس تناهـت في تعاليهـا

ومنهـا :

سـادت ومالت وابقت من مفاخرها
اوابـدا ليس كـر الدهر ماحيهـا

وتلاحق مترجمو الشاعر (عبد المسيح الانطاكي) يصفون شخصيته ، وشاعريته ، وملحمته ، ومنهم الاستاذ الباحث الدكتور يوسف اسعد داغر ، والاستاذ المؤلف عمر رضا كحالة ، كمـا ان المستشرق الشهير الالماني (كارل بروكلن) لم ينس دراسة الانطاكي والاشارة اليه ، في كتابه الموسوعي (تاريخ الادب العربي) .

هذه التفاتة صغيرة احببت تسجيلها في (الاديب) وتذكير الاخ الاستاذ الشاعر (العطوي) عنها ، راجيا ان يضعها موضع الاشارة والالتفات فيما يكتب او يبحث او يدرس آثار الشاعر الكبير الصديق بولس سلامة ، الذي يحتل دائما مقام التقدير والاعجاب والمحبة في نفوس احبابه واصحابه ، وفي قلوب عشاق شعره ، ومقدري عبقريته .

وللاخ الاستاذ العطوي اسمى المودات ، وخالص التحيات ، لفضله السابق في دراسة الشاعر بولس سلامة بعد موته وغيابه ، وتسجيله صورا رائعة عن حياته ، وصراعه مع الآلام ، وبطولته في الصبر ، وقوة الايمان ، واشراقات العبقرية الخالدة في شعره .

كلية الآداب ـ جامعة بغداد محسن جمال الدين

اهم المراجع :

(١) ـ محاضرات عن الحركة الادبية في حلب ـ ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠ للاستاذ سامي الكيالي ـ القاهرة ١٩٥٧

(٢) ـ مصادر الدراسة الادبية ـ للاستاذ يوسف اسعد داغر ـ القسم الاول ـ الجزء الثالث ـ بيروت ١٩٧٢

(٣) ـ معجم المؤلفين ـ للاستاذ عمر رضا كحالة ـ ج ٦ ـ دمشق ١٩٥٨

(٤) ـ الاعلام ـ للاستاذ الزركلي ـ ج ٤ ـ القاهرة ١٩٥٩

(٥) ـ الاديب ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ ـ دراسة الاستاذ فوزي عطوي ـ عن الشاعر المرحوم بولس سلامة .

خليل ايوب الحتي

١٨٨٧ — ١٩٧٧

بقلم جرجي نصر

* * *



خليل ايوب الحتي رحمه الله شاعرا زجليا مبدعا(١) ، مرهف الحس ، مجنح الخيال ، بديع التصوير ، عميق التفكير ، شيق الاسلوب ، بارع الوصف ، يتجلى بموهبة شعرية زاخرة تتجلى فيها الرقة والعذوبة ، ويتميز شعره بالقوة والمتانة وفخامة الديباجة وحسن السبك .

والده ايوب يوسف الحتي (١٨٥٤ — ١٩١٨) جاءت به والدته ، رفقه ابنة الخوري جبرائيل الخوري وهي من صغبين إصلا توفيت سنة ١٩١٤ عن شيخوخة صالحة الى الدامور ، وهو لا يزال في عامه الثاني ، اثر وفاة والده يوسف في شملان ، وكانت تقوم بتربية دود القز ، فشب ولدها ايوب وترعرع ونشا نشأة طيبة ، وتزوج من مريم مخيبر الغريب (١٨٥٤ — ١٩١٦) وسكن الدامور . ورزق بنين احسن تربيتهم وثقافتهم نذكر منهم : يوسف الذي ولد في اول تشرين الثاني ١٨٨٥ في الدامور وتوفي فيها في ١٧ آذار ١٩٤٥ وقد اسس جريدة (ارزة لبنان) في البرازيل ثم نقلها الى لبنان .

والشاعر الزجلي خليل الذي نترجم لـه : ولد في ٥ كانون الاول سنة ١٨٨٧ في الدامور وقد تلقى مبادىء العلوم في بلدته ، فارتسمت على محياه منذ صغره ، علامات الفطنة والذكاء وتوقد الذهن ، فقرض الشعر باكرا . وكان بين والده واهالي حارة الناعمة موطن الاديب الكبير الدكتور فوزي عطوي ، صلات ود ومحبة ، وبحكم الجوار كان يقضي معظم اوقاته متنقلا فيها في مواسم الاعياد ومعالم الافراح واقامة الحفلات وتبادل الزيارات . فنشأ الشاعر على غرار والده يختلف الى هذه البلدة الجميلة ، فيلتف حوله اصدقاؤه حيث يلاقي العناية والتقدير ، ويلقي فيها من اطايب شعره ما يذهل رغم حداثة سنه .

ولكـن هـذه العادات والتقاليد اللبنانية الاصيلة اضمحلت اليوم واصبحت اثرا بعد عين وحل محلها الشقاء والبلاء . ونحن نتمنى ان يحل الصفاء محل الجفاء ، وتزول الاحقاد والضغائن من القلوب ، وتنجلي المحنة الدائرة اليوم الى غير رجعة ، وتعود الحالة الى ما كانت عليه من الالفة والمحبة والاستقرار .

تزوج (الخليل) من فتاة كريمة ، كانت له عونا في حياته ، رزقا بنات عرفن بالحشمة والآداب ، وتوفيت اثر مرض السكري الذي لازمها طويلا ، وقد اسف الجميع على فقدها لما تحلت به من محاسن وشمائل ، وما اتصفت به من خلال ومزايا .

التحق في مطلع شبابه بسلكي الدرك والشرطة اللبنانية ، فخدم وطنه خدمات تذكر فتشكر ، واظهر حكمة ودراية في تصريف الامور مع رفيق جهاده وعشير صباه الشاعر الخالد المرحوم اسعد الخوري فغالي — شحرور الوادي — (١٨٩٤ — ١٩٣٧) وكانا ينتهزان الفرص لاقامة حفلات ساهرة على المسارح في مختلف المصايف اللبنانية ، وسط الينابيع الدافقة المتفجرة ، وتحت ظلال الاشجار الوارفة ، وغالبا مـا كانا يتعرضان للعقوبات المسلكية بسبب ذلك ، الى ان آثرا الانصراف من الخدمة العسكرية ، والانطلاق في اجواء الشعر الفسيحة ، مؤكدين بذلك ن السجون ، وان مذهبة ، لا تغري المنادل بالتخلي عن بريق الحرية واغراءاتها .

لقد انطلق الشحرور رحمات الله عليه ، من عشه مغردا ، محلقا في اجواء الخيال ، سابحا في الفضاء الوسيع ، يسحر العقول ، ويفتن الالباب في مواقف شهدت له بالتفوق والابداع .

وقد اسس جوقة زجلية عرفت باسمه ، طار لها صيت بعيد ، اخذت تحيي الحفلات في اكثر الاقطار العربية فلاقت الاستحسان والتشجيع .

اما الشاعر خليل ايوب الحتي ، واليه يعود الفضل في احياء هذا التراث الشعبي الدفين ، كان اول من اسس مجلة زجلية في لبنان ، كانت المنار الاول ، حمل لواءها وسهر عليها وقادها بعزم وقوة الى الطريق القويم وافاض عليها لوحات مليئة بالروائع والحكم ، امتلكت المشاعر .

انشا سنة ١٩٣٠ جريدة (المنخل) على الجلاتين وكانت بدون امتياز ، ومن بعدها اصدر جريدة (الزجل اللبناني) سنة ١٩٣٣ التي ابدل اسمها فيما بعد بالشعر القومي ثم بارزة لبنان ، وقد اصبحت جريدته منبرا لافذاذ شعراء الزجل : يتبارون على صفحاتها على اختلاف ميولهم والوانهم ويقدمون شعرا لبنانيا صافيا . وشجع الناشئين منهم على شحذ هممهم وبذل كل طاقاتهم في سبيل تنمية الشعر الزجلي اللبناني .

وكان للشاعر مقام محترم بـين زملائه ومقدري فضله ، رفعته اليه عبقرية وهاجة ونبوغ وقاد ، فقد بلغ القمة في التصوير والذروة في التحليق ، ينظر اليه بهالة من التقدير والاعجاب .

---

(١) — راجع لصاحب هذا المقال بحثا عن الشاعر في هذه المجلة عدد يونيو ١٩٦٢ ، وفي عددي شباط وآذار ١٩٧٨ للدكتور فوزي عطوي .

يا طالب المجد

يا من صرفت سنيناً من حياتك في ... نظم القوافي تواشيحا واوزانا
ما كان همك من دنيا الوجود سوى ... حفظ القصائد اشكالا والوانا
جمعت من كل ما في الكتب من ادب ... وفي الدواوين اوتارا والحانا
تقول ما لك في دنيا القريض اخ ... في نظمك الشعر تصويرا وتبيانا
اتذكر الغاب ؟ كم في الغاب من نغم ... من صادح الطير — تذكارا وتحنانا
اتذكر الروض ؟ كم في الروض من زهر ... يبث عرف الربى وردا وريحانا
وفي الطبيعة كم من همسة نغمت ... فيها الجداول آنا ... والربى آنا
وللفراشات كم لون بها لمعت ... من ساحر الفن تركيبا واتقانا

يا طالب المجد دع عنك الغرور ودع ... عنك اعتدادا به جهرا وكتمانا
ترى وحيد القوافي انت في زمن ... كي تحصر الفن مختارا وفنانا
وحاجة المرء لا ترضي كرامته ... ووزنه يحمل الاثقال اطنانا
من لا يناضل في ربح الحلال على ... خط التجارة .. يقضي العمر خسرانا

لا الشعر يغني لتأمين الكفاف ولا ... يرضيك ان تربح الاموال احسانا
مهما زرعت بارض الرمل من شجر ... لا يثمر الرمل تفاحا ورمانا
والشعب لا يدرك الاشعار ساحرة ... ولا يرى ما بها درا ومرجانا
اين العروبة من دنيا القريض كما ... بالامس كانت بمجد مثلما كانا
هي السياسة جاءت بالتعاسة في ... شعب يئن تباريحا واحزانا

سان باولو — البرازيل

فارس بطرس

ولعل ابرز صفات الشاعر هي وفاؤه لفنه ومحبته لوطنه لبنان ، موطن السحر والجمال والالهام ، ومسرح قرائح الشعراء بما ابدعوه وخلفوه من سحر البيان . فقد خط في حسنه وفي مجده أروع الذكريات وابلغ الآيات .

وله مواقف شعرية رائعة اوحت اليه باكثر من نشيد ؛ تشهد بروعتها وجمال صورها .

ففي الباروك ونبع الصفا وغيرهما . كان الشاعر الكبير المرحوم شبلي الملاط يحكم في احدها وينادي بأن خليل الحتي هو اكبر شاعر زجلي في لبنان .

وفي سنة ١٩٥٠ اجرى المرحوم الاستاذ كرم ملحم كرم صاحب مجلة (الف ليلة وليلة) استفتاء حكم للاستاذ خليل الحتي انه سيد شعراء الزجل .

وفي خلال سنة ١٩٥٦ احتفل بيوبيله الفضي احتفالا رائعا كان بمثابة تكريم وتقدير تخللته الخطب والقصائد .

وفي ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤ اقيم له مهرجان تكريم بعد مرور ٣٢ سنة على تأسيسه اول جريدة زجلية في لبنان ، وانعمت عليه الحكومة اللبنانية بوسام الاستحقاق اللبنانـي .

وفي آخر ايامه ، ظل يواصل عمله متقطعا رغم شيخوخته وآلامه واحزانه الى ان اقعده المرض عن مواصلة الجهاد ، فلاقى وجه ربه في ١٥ من تشرين الاول سنة ١٩٧٧ في فرن الشباك ، مأسوفا على علمه وادبه وطيب انفاسه .

بكاسين — لبنان

جرجي نصر





بقلم نصرت توفيق خريش

كان ذلك ، بعيد نجاحي وقبولي في وظيفة حكومية . حين تقدمت مني امي : وقالت جادة :

بعد سنوات تكبر يا بني ولا تعود توافق على الزواج . انني احثك على اختيار شريكة لحياتك ، وانت اليوم موظف ، وقرشك يا حبيبي لا تحافظ عليه الا زوجتك . فكما ان امك حافظت على قرش ابيك هكذا ستحافظ ام اولادك على قرش ابيهم .

ومع ان فكرة الزواج ، كانت تستهويني ، الا انها كانت ترعبني في ذات الوقت ، إذ كيف استطيع ان انفق على عائلة في معاش لا يتجاوز المائتي ليرة ؟ ... علي ان استأجر دارا واؤثثها بافضل الاثاث .

هناك الثلاجة ... وهناك الغسالة الكهربائية ... وهناك فرن الغاز ... وهناك السجاد الالماني او العجمي .. والصالون ... وغرفة الطعام ... وغرفة النوم .. وادوات المطبخ .. وان نسيت فلا انسى التلفزيون ، وغيرها وغيرها . فكيف ذلك واليد قصيرة ؟ ! ...

الم تقل امي : ان زوجتك يا بني تحافظ على قرشك ؟ ... مسكينة امي ! ... حتى هي توهمت انني اقدر على فتح بيت في راتب قليل ؟ ! فلقد اوهمها مظهري الخارجي في البدلة الجديدة انني قادر على خوض غمار الحياة الزوجية ... حقا ان البدلة الجديدة تلعب سحرها على جسم الموظف الجديد ! ...

ولما عرضت جديا على امي مصاعبي قالت :

تعيش مثلنا : انا وابوك ، بدانا هكذا . كان هو يتقاضى راتبا قدرهماية وخمسون ليرة في الشهر ، ثم كبرت العائلة وبقينا نعيش ، ومثلما عشنا في البداية ما زلنا نعيش الآن ، ولم يتغير علينا شيء . والحياة ما زالت هي . هي . في وجود التدبير .

احرجتني امي ، في التسهيلات التي زرعتها على دربي ؛ وكانني مقبل على السير ، فوق طريق مزروعة بالفل والزنبق والحشائش الناعمة ، وكانها واثقة من نجاحي سلفا ؛ كما نجحت هي وابي .

عارضت انا في بداية الامر ؛ محاولا إقناع ابي وامي واخوتي ، ان الواجب يقتضي ان اساعدهم لبعض سنوات ، وقد تعبوا علي السنين الطويلة ، يدفعون الرواتب المدرسية ، وينشؤونني التنشئة العالية ، وعندما حان اوان القطاف ، إعلن انا ان الزرع ليس لهم وان القطاف ليد غير يدهم ... هذا لا يجوز ! .

و ... نعتني اهل البيت بالسلبية . ما احلى البيت الذي يطلع منه عدة بيوت ، هكذا رد ابي : وايدته امي . اما اخوتي فلم يكن لهم راي ، ما دام لارباب الراي في البيت رأيهم . وكانوا يكتفون بالابتسامات وانا اناقش الامر مع الوالدين ... غير ان صغيرنا كان يقول لي : متى العب مع اولادك يا اخي ؟ . وكنت اتقبل النكتة ، مع معرفتي ان هذا الكلام : كان بتحريض مرح من اخوتي . وكنت أعده قائلا : غدا يا اخي تصير عما ؛ ويصير اولادي ، جيشا عرمرما لعمهم ، يلعبون معك ويضربونك ؛ فتعود ايها العم الصغير باكيا شاكيا الى امك ...

كان هناك اصرار على زواجي . ضمن خطة ، يبدو أن لا رجوع عنها . مشروع بيت جديد . بيت جديد يفرخ من بيت عتيق . الناس يتزاحمون على الوظيفة ... من اجل ان يستقروا ، وها انت قد استقررت، فلماذا لا تبشن إستقرارك بزواج باكر . قال بعضهم .

وكنت ارد ، إن الوظيفة ايها القوم ، ما هي الا منعطف امين على طريق الحياة ، فلا هي كل الطريق ، ولا هي كل الرحلة ، ونقود الوظيفة لا تعني شيئا ، الا الكفاف . وكانوا يعلقون : يا لهذا الابله ! ...

اما ابي ، فكان له راي آخر في الزواج . قال : ان الزواج محبة ، والمسيح عليه السلام ، رغم انه لم يتزوج ، كان يشفي الناس بالمحبة . وعندما يحب الانسان حبا حقيقيا ، يقطف من ثمار محبته ، الصحة وطمأنينة النفس ، اذ ان الكراهية تجلب الى الجسد انواع الامراض ، وبتأثير الغضب والقلق واليأس يتأتى السكري ، وقرحة المعدة ، وارتفاع ضغط الدم والذبحة القلبية والربو وغيرها . وتلك حقيقة علمية ثابتة .

وفي ردي على ابي قلت : ان كثيرا من الناس المتزوجين ، مصابون ببعض هذه الامراض ؛ وقد احبوا عندما تزوجوا ، ولم تستثنهم الامراض .

بيد ان ابي كان يدعم رايه قائلا : ان المحبة يا حبيبي ليست سهلة ، انها معجزة ... ان تتزوج وتحب زوجتك واولادك ، وكل الناس من حولك ، انما هي معركة الحياة . واذا كان البشر يحبون وتنتابهم الامراض ، فلأنهم لم يعرفوا بعد كيف يحبون : وكيف ينتصرون على

اثانياتيم ... من السهل ان نحب . لكن ليس من السهل ان نستمر في تطبيق المحبة ... اسال نفسك ، مجد ان الجواب الذي على لسانك ، غير ذلك الذي في قلبك . إن كنت قادرا على المحبة تزوج ، والا اكلتك المدينة باظفار حسناواتها ؛ واذابتك الانانية في خضم الذات الهائج المزبد ... ان الزواج يا بني يريك الحياة ممتعة ، ونشيطة ، فتستيقظ مع الفجر كما الطيور تفعل . ولا يعود للكسل من مكان في عزيمتك ، بل مقدرة متجددة ، على معرفة المسؤولية والقيام بالتزاماتها .

ولما وجدت ان كل الاعتراضات لم تنفع ؛ وانه لا بد من الزواج ، قررت ان ابحث عن عروس .

المشكلة ان نفسي تحب الجميلة . ولكنني في طبعي اخاف الجميلة . اخافها ان تسرق ، وان تتعرض للغواية. ان الجميلة تعشق التعالي ، وانا احب التواضع . هي تهوى التصرف كأميرة وانا عرشي من كتب وورق . إذن ؛ فلا بد من فتاة ، ليس لها جمال صارخ ، ارى فيها الفضائل قبل الجمال .

وكان ان اخترت فتاة رصينة ، تحققت فيما بعد انها ربة بيت قديرة ، وام مثالية لأولادي ، وزوجة تتمتع بثقتي ؛ فتحتفظ بي ، واحتفظ بها... وما لبثت مع الايام ان شعرت انا وزوجتي اننا في الزواج فقدنا فرديتنا، واصبحنا جزءاً من كل ، كما هي مجموعة الاقراص في خلية النحل ، يتكامل الواحد في الآخر .

واندفعت بنا الايام في خبب ، كذلك الخبب الذي تبعثه الجياد وهي تجر وراءها العربات . وما هي بضع سنوات ، حتى انبرى من حولنا ، اولادنا .

وكلما كان الاولاد يكبرون كنت احس بثقل المسؤولية تجاههم ؛ من معيشة ومدرسة وطبابة ، بحيث ان... العمل كان يستغرق معظم وقتي . ولم اعد اعرف من اوقات الفراغ الا القليل . حتى وانا في سريري كانت هموم اولادي تطرد النوم عن جفوني . فاذا تقلبوا في اسرتهم تقلبت انا ؛ واذا نهضوا نهضت ، وصار كامل وقت ابيهم مخصصا لهم . حتى اذا رجعوا من المدرسة ، وجدوا طعامهم جاهزاً ، وثيابهم مغسولة ومكوية ؛ وحاجياتهم مرتبة في ادراجها .

وفي صبيحة يوم من ايام العطلة ، بعد سنوات من الزواج ، شعرت ان البيت قد ضج بحركة الاولاد ضجيجا لم يعد يطاق . فقلت لزوجتي : اهذا هو الزواج الذي اغرانا به اهلنا ، وقالوا عنه انه يمنحنا اروع الاشياء ؟ ان احوج ما نحتاج اليه في يوم عطلة هو الهدوء . في الهدوء نهرب من سلاسل العمل وعبوس الدوام ، ولكن اين لنا من ساعات هادئة ، وسط اصوات الطابة ، تقذف من يد الى يد ، على الشرفة ، ومن حرتقات الشاكوش على خشبة في يد الاولاد ، ومن تجمعات الالعاب واللاعبين تحت النافذة ! ... ان اولادنا في يوم العطلة يكونون اشبه بورشة عمل ، تنطلق حولنا وتصب في رؤوسنا .

وفيما انا متعب بما هو حولي ، والنهار ما يزال في اوله ، وامامنا عطلة مدرسية تمتد الى اسابيع ، وموال الاولاد يتابع مجراه في راسي ، تنبهت زوجتي لما انا عليه بسبب الهرج والمرج الذي يسود البيت ، واتخذت هي قرارا ، سرعان ما وافقت انا عليه ان تزور والديها في الصايف : وفي صحبتها الاولاد فيتوفر لي بيت هادىء في غيابهم .

لقد كانت زوجتي تفهم طباعي ؛ وتقول لي عندما اغضب ، ان الحياة الزوجية مليئة بالمصائب ، وهذه المصائب هي التي تجعلنا نشعر بمتعة الحياة ، ولولاها لكانت الرتابة تفسد الصحة وتضعف الخيال والاعصاب ؛ وان الحياة في الاسرة تتطلب الصبر .

وكان البيت في اليومين الاولين ، من غياب العائلة ، يحملني الى عالم الاحلام المشتهى ... استقرار ... هدوء ... جو مهيب ومريح ... ارتشف قهوتي عند الصباح ، وانا جالس على الشرفة ، دون ان ياتي الاولاد فيحركون الفنجان لينقلب على ثيابي او على الارض ، مثلما كان يحدث غير مرة في جلساتهم معي .

ما احلى هذه الآفاق امامي . جنات من الليمون الاخضر ، تنبسط على مد النظر ؛ ونسيمات الصباح المشبعة بأريج الليمون تملأ رئتي . فلا اشبع منها ، ولا هي تبخل علي من مزيد . كل شيء هادىء في بيتي . ولا يبدد سكونه سوى اصوات باعة الخبز والخضار ، وهم يجرجرون عرباتهم على الطريق ، من وقت الى آخر .

كان في نفسي رغبة الى السكون . شئت ان اتابع مجراها في اعماق نهاراتي غير اني ما كنت اجلس الى طاولة الطعام ، واتناول طعامي . حتى آخذ المذياع ، واروح ابحث عن محطة تبث الموسيقى ، لاسمع صوتا آخر غير تنهدات قلبي ، يشاركني مجلسي ... كانت تنطلق الموسيقى ؛ وكنت احب بعضها واكره بعضها . إلا انني كنت متفقا مع ذاتي ، ان استقر على محطة ما ، لتكون ملجأ كبيرا لوحدتي ، فاعود انسانا يحب الحياة ، والاصوات والحركة . الاشياء حولي هي نفسها . من الطاولات والكراسي والخزائن ، الى هذه اللوحات المعلقة على الحيطان . وكلها قد عجزت عن تحريك السكون في نفسي امام هذا المد من الوحدة والضجر ومضت في ذهني فكرة . ان اجمع اولاد الحي في حديقة منزلي فالاعبهم ، واوزع عليهم النقود يوميا . لاسمع ضجيجهم ، واشاغل نظري بهم .

وبعد خمسة ايام ؛ من تنفيذ فكرتي ، وجدت نفسي ، في طريقي الى الافلاس . اذ كان عدد الاولاد

انتظار

ايـام دهري اراها جـد مسرعة	والعمر في اثرها يجري على عجل
شئون عيني على اقدامها إنسكبت	ترجو التمهل في يأس وفي أمـل
وهل اصاخت لداع حـين يسألها	هيهـات تسعفنا الايـام بالمهـل
يا حبذا منك وعد يستضيء بـه	ليلي ، ويشرق في ارجائه اجلـي
مـا قـل منك كثير عنـد راغبه	والشمس اذا الضحى كالشمس في الطفل

يـا صحوة الامل الغالي وطلعته	فيـك التمني ، وفي ادباره عللي
اغريت قلبي لما ان هششت لـه	فعاش في خيـلاء الفارس البطل
لا شيء مما يرى يرضى به بدلا	ولا يقول لشيء : ليت ذلك لـي
وطاب لي فيك شعري حين انظمه	كمـا تطيب زهور الروض بالطلل
يـا ظبية مـن ظباء النيل رافلة	في عز حبي ، وفي نظمي ، وفي غزلي

قد ضمنا في ضياء الشمس مجلسنا	وجاءنا الليل يزجي الضوء بالكحل
لقد دنت في غياب الشمس فرقتنا	يا شمس عمري أطيلي العمر بالامل
لقـد سئمت حيـاة لست بهجتها	وضاق عيشي،وضاقت في الهوى سبلي

الناس من حولنا مروا ولم نرهم	ونحن من وجدنا نشدو بـلا كلل
نلهـو ونطرب والآمـال دانيـة	والعز قربك ، ليس العز في النقل
ان نلت ما عزني في كل قاصية	لمـا ابتغيت سوى لقياك يا املي

عودي الـي بوعد استسيغ بـه	عيشي لعلي ارى الايام تبسم لـي
لا عيش لي ، وحياتي عنك نائية	ففيك مـا اشتهي للسمع والمقـل

القاهرة — احمد عبد المجيد

يزداد يوما فيوما ... حزمت حقائبي واخذت طريقي الى المصيف . حيث زوجتي واولادي ...

دهشوا عندما زاروني . غير انهم ضحكوا كثيرا عندما اخبرتهم عـن ضجري ، وكيف كنت اغري اولاد الحي ؛ وازين لهم مجالستي بالنقود ، حتى كادت تنفد جيبي ...

حماتي كانت اكثر الفرحين بي ، اذ قالت لي :

يا صهري ، ان الهروب من الضجر يكون بمصاحبة الاسرة الى عندنا ، حيث الطبيعة الباسمة ، لا البقاء في المدينة بين البنايات العابسة .

اما انا فكنت لا اشبع من التطلع في وجوه اطفالي وزوجتي ومعانقتهم مرات ، ولا اضيق ذرعا بهم وانـا اغمرهم فرحا بلقائهم ، لانه حيث لا يكون اطفالي سأبحث عـن اطفال العالم ... لقد كنت في حاجة الى حبهـم وصخبهم ، وعرفت المعنـى الحقيقي للابوة المحاصرة ، بعدمـا تذوقت نكهة الحياة اللذيذة في مشاكلها واحلامها وآمالها . من خلال تجربتي هـذه .

عين ابل ـ لبنان — نصرت توفيق خريش